الفصل الرابع

أسطورة الخلاص الإلهي لليهود في آخر الزمان

مع اقتراب نهاية الألفية الثانية وبداية الألفية الثالثة ظهرت حُمَّى دينية غَرْبية تؤكد اقتراب يوم القيامة ونزول المسيح المخلص لخلاص شعبه وإهلاك أعدائه ، وتبارى الكتاب في تأليف الكتب لتأكيد ذلك وجعلوا مسرح أحداث نهاية العالم فلسطين ، وفسروا جميع الأحداث التي جرت في حرب الخليج وما بعدها من حروب شنتها الحكومة أمريكية على أفغانستان والعراق بأنها من علامات يوم القيامة ، وهي مقدمات الهرمجدون إن لم تكن هي الهرمجدون نفسها التي جاء ذكرها في الإنجيل في سفر الرؤيا ، وأن العالم أوشك على الفناء ، وأن المسيح المخلص أوشك على الظهور .

في البداية كانت كتبًا دينية مسيحية بروتستانتية غربية روَّج لها المبشرون ليؤكدوا أن نبوءات الإنجيل تتحقق ؛ وليجدوا مادة يخدعون بها المفرغون روحيًّا ، والمهووسون بالغريب ، وبأفلام الرعب التي كثرت في الآونة الأخيرة كثرة طاغية .

وتلقف الساسة الأمريكيون والإنجليز هذه النبوءات وأشاعوها في مجتمعاتهم ؛ ليكسبوا تأييدها في مخططاتهم الاستعمارية ، وليضفوا صفة الشرعية الدينية على أعمالهم الإجرامية مستغلين جهل شعوبهم بالدين أولا ، وبالواقع الخارجي ثانيًا .

فموَّهوا على شعوبهم ببعض النصوص المجتزأة المبتورة من سياقها ولووا أعناق هذه النصوص قسرًا لتتماشى مع مآربهم وأفكارهم الخبيثة فإن كان سفر زكريا(١٢: ١١) تحدث عن معركة (الهددرمون) التي وعد الله فيها يهود السبي البابلي بالعودة إلى أورشليم ، وتحقق هذا الوعد على يد قورش الفارسي سنة ٥٣٨ ق . م ، ولا علاقة لها من قريب أو بعيد بعلامات يوم القيامة – كما سنبين – فإن بعض رجال الدين المُحْدَثين – من اليهود والمسيحيين البروتستانت الغربيين وبعض من

يزعمون أنهم مفكرون إسلاميون – يرون أن معركة الهددرمون آتية في غضون شهور وعلى أقصى تقدير في بضع سنين .

وإذا كان سفر الرؤيا – العهد الجديد – تحدث عن معركة (الهرمجدون) على أنها إحدى علامات الساعة الكبرى التي تُسْبَق باحتراق ثلث الأرض ، وثلث الشجر ، وبتَحَوُّل ثلث البحار إلى دم ، وموت ثلث الكائنات الحية ، وموت ثلث الناس بسبب تلوث مياه الأنهار ، وحدوث ضربة لثلث الشمس ، وثلث القمر ، وثلث النجوم ، وإظلام الكون ...

إذا كان لا بد من وقوع مثل هذه الحوادث كمقدمة للهرمجدون – كما نص على ذلك سفر الرؤيا – فإن بعض رجال الدين أدعياء العلم بالغيب يؤكدون أن معركة الهرمجدون على الأبواب ، وما هي إلا عشية أو ضحاها تفصلنا عنها !!

والعجيب أن الكتب التي تحدثت عن هذه النبوءات مر على إصدارها سنوات ولم يتحقق شيء مما تنبئوا به والأعجب أن جماعة شهود يهوه المسيحية تنبأت بمثل هذه النبوءات في مطلع القرن العشرين أي منذ نحو مائة عام ولم يتحقق من نبوءاتهم شيئا!! (1)

المرجعية النصية لأسطورة الخلاص الإلهي لليهود آخر الزمان

ادَّعى اليهود أن هناك نصوصًا من العهد القديم قد بشرت - خصوصًا من أسفار الأنبياء - بالزمن الذي سيقضي فيه الله على كل الجور في هذا العالم . ويرُّد الله بني إسرائيل من كل شتاتهم إلى القدس، وإلى أرض إسرائيل، حيث يحكمون بالعدل والسلام ويباركون بمحبة الله (إشعياء ١١ :١١-١٢، عاموس ٩: ١٤-١٥). ولقد ورد في نصوص أخرى أن الشخص الذي سيحكم إسرائيل ويؤدي إلى الاستقامة والخلاص في نهاية الزمن سيكون من سلالة داود الموحد الكبير لإسرائيل في قديم

(١) " اليهود والصليبيون الجدد الدجل الديني والسياسي " للمؤلف دار الإبداع للصحافة والنشر ص ٣،٤

الزمان. لكن الله وحده هو الذي سيحقق معجزة الخلاص، علمًا بأنه لم يرد في التوراة ما يشير إلى أن شخصاً بطلاً منقذاً سيقوم بمعجزة تحقيق هذا الخلاص. وبالرغم من هذا فقد بدأ كثير من اليهود داخل الإمبراطورية الرومانية في الاعتقاد أن الشخصية التي سيكون على يدها الخلاص الإلهي هي شخصية تحظى بالتوجيه الرباني . (1)

لكن لماذا يكون الخلاص قاصرًا على اليهود فقط رغم عصيانهم الدائم للرب ؟

والإجابة عن هذا السؤال حسب الرؤية اليهودية تتلخص في أن الرب قد اختارهم دون سواهم شعبًا مقدسًا ووعدهم بالأرض المقدسة والخلاص في آخر الزمان ، أما عصيانهم الدائم للرب وارتكابهم الشر في عينه فإن الرب يطهرهم منه ببعض العقوبات ، لكن لا يُخِل هذا بالميثاق الذي قطعه الرب على نفسه .

" كون بني إسرائيل بشر، فإنهم يعصون الله مرة أخرى، وهذه فكرة رئيسة في التاريخ الديني للشعب اليهودي. ومع ذلك فإن تحقيق الغاية الإلهية لم يكن محل شك أبدا. إن شعب إسرائيل لن يهلك (إرميا ٣١: ٢٦-٢٧) . إنه سيعود إلى إيمانه الكامل، بحسب اللاهوت اليهودي، وسيأتي بالنجاة إلى كل الأرض بقيادة كل واحد إلى الله في الخلاص النهائي في آخر الساعة (إرميا ٣ :١٧-١٨) لكن، إلى أن يحين ذلك الوقت فإن شعب إسرائيل سيظل شاهدا لله (إشعياء ٤٤: ٨) وسيستمر في العذاب عندما يعصي " (2)

نصوص التوراة التي يستشهد بها اليهود على خلاص الرب لهم في آخر الزمان :

" ١١ ويكون في ذلك اليوم أن السيد يعيد يده ثانية ليقتني بقية شعبه التي بقيت من أشور ومن مصر ومن فتروس ومن كوش ومن عيلام ومن شنعار ومن حماة ومن

(1) الحاخام روبن فايرستون و د. ستيفن ستاينلايت و الحاخام جيمز أ. رودين . وآخرون " ذرية إبراهيم " مرجع سابق ص ٢٥

(2) نفسه ص ٧٧

جزائر البحر ١٢ و يرفع راية للأمم ويجمع منفيي إسرائيل ويضم مشتتي يهوذا من أربعة أطراف الأرض " (إشعياء : ١١)

" ٨ لا ترتعبوا ولا ترتاعوا أما أعلمتك منذ القديم وأخبرتك فأنتم شهودي هل يوجد إله غيري ولا صخرة لا أعلم بها " (إشعياء : ٤٤)

" ١٤ وأردَّ سبي شعبي إسرائيل فيبنون مدنًا خربة ويسكنون ويغرسون كروما ويشربون خمرها ويصنعون جنات ويأكلون أثمارها ١٥ وأغرسهم في أرضهم ولن يُقْلعوا بَعْدُ من أرضهم التي أعطيتهم قال الرب إلهك " (عاموس:٩)

" ١٧ في ذلك الزمان يسمون أورشليم كرسي الرب ويجتمع إليها كل الأمم إلى اسم الرب إلى أورشليم ولا يذهبون بعد وراء عناد قلبهم الشرير . ١٨ في تلك الأيام يذهب بيت يهوذا مع بيت إسرائيل ويأتيان معا من أرض الشمال إلى الأرض التي ملكت آباءكم إياها " (إرميا : ٣)

" ٢٧ ها أيام تأتي يقول الرب وأزرع بيت إسرائيل وبيت يهوذا بزرع إنسان وزرع حيوان " (إرميا : ٣١)

" ٧ ها أنا أنقذ شعبي المنفي في أرض المشرق أو المغرب . ٨ وأردهم إلى أورشليم ليسكنوا فيها ويكنون لي شعبا وأكون لهم إلها بالحق والعدل .. ١٣ وكما كنتم لعنة يا أبناء يهوذا وإسرائيل فإنني أخلصكم فتصبحون بركة " (زكريا : ٨)

هذه هي النصوص التي يَدِّعي اليهود - غير الصهاينة - أنها خاصة بنهاية الزمان، وأن عليهم انتظار مجيء المسيح ليحققها لهم ، وأن سعيهم بأنفسهم لتحقيق الخلاص يُعَدُّ اعتداء على إرادة إله إسرائيل ، فالشتات الذي يعيشون فيه إنما هو عقوبة من إله إسرائيل لمخالفتهم وصاياه ، وعندما تحين مشيئة إله إسرائيل فإنه يعيدهم إلى أرض الميعاد ليس لأجلهم يفعل هذا ، بل غَيْرَة منه على اسمه الذي دنسوه بين الأمم التي تفرقوا بينها .

وهذا ما أوحى به إله إسرائيل إلى رسوله حزقيال ليبلغه لبني إسرائيل :

" قل لشعب إسرائيل : ليس لأجلكم أنا موشك أن أعمل (عظائم) يا شعب إسرائيل، بل غيرة على اسمي الذي دنستموه بين الأمم التي تفرقتم بينها فأقدس اسمي العظيم الذي صار بسببكم منجسا بين الأمم التي تفرقتم بينها فتدرك الأمم أني أنا الرب حين أتقدس فيكم أمام أعيينهم يقول السيد الرب إذ آخذكم من بين الأمم وأجمعكم من كل البلدان وأحضركم إلى أرضكم وأرش عليكم ماء نقيا فتطهرون من كل نجاساتكم ومن أصنامكم ... ولهذا اعلموا أنه ليس من أجلكم أنا أفعل هذا ، يقول السيد الرب فاخجلوا واخزوا من طرقكم يا شعب إسرائيل " (حزقيال : ٣٦)

إذن عقيدة اليهود فيما يتعلق بالشتات والخلاص وكما هو ظاهر من النصوص تؤكد أن إله إسرائيل قد عاقب شعبه بالشتات بسبب فسادهم وتنجيسهم اسمه ولكنه في نهاية الزمان وحفاظًا على اسمه فإنه سيجمعهم في أرض الميعاد (فلسطين) ويبيد أعداءهم وإلى أن يتم هذا فما على يهود الشتات إلا انتظار انتهاء فترة العقوبة في صبر ، وأن يتحملوا اضطهاد الأغيار لهم في جَلد ، وألا يتعجلوا العودة إلى أرض الميعاد قبل مشيئة الرب ، هذا هو حكم إله إسرائيل في شعبة المختار .

وظل هذا المفهوم للخلاص هو عقيدة اليهود طيلة زمن الشتات الذي يناهز ألفي سنة حتى ظهرت الصهيونية في القرن التاسع عشر والتي يمكن تلخيص أهم ما نادت به مُخالفةً فيه العقيدة اليهودية في الآتي :

١- مهاجمة فكرة انتظار المسيح الذي سيأتي بالخلاص، والمناداة بأن على اليهود الحصول على الخلاص بأنفسهم . إذ أصبحت العودة إلى فلسطين ممكنة دون انتظار مقدم المسيح .

٢- مهاجمة مفاهيم أخرى ، مثل العودة والشعب المقدَّس، بحيث أسقطوا البعد الديني المجازي، وكان هذا تمهيداً لتحويلها إلى مفاهيم ذات طابع دنيوي وضعي

حرفي فتحوَّلت صهيون إلى موقع للاستيطان وتحوَّل الشعب المقدَّس إلى شعب بالمعنى العرْقي أو الإثني .

٣- تطبيع اليهود أي أن تكون الشخصية اليهودية شخصية طبيعية، ويصبح اليهود أمة مثل كل الأمم، وتطوَّر هذا المفهوم ليصبح الدعوة إلى تأسيس الدولة الصهيونية حتى يكون للشعب اليهودي دولته المستقلة شأنه في هذا شأن كل الشعوب .

٤- بعث البطولات العبرية القديمة مثل : شمشون وشاؤول، وهي بطولات تجسِّد عناصر لا عقلانية خارقة وذلك لتنفض الشخصية اليهودية عن نفسها شيئا من خنوعها وتصبح شخصية تمتلئ بالحيوية .

٥- إزكاء نيران الحب لصهيون وفلسطين وتمجيد الأسلاف كانت بمثابة المدخل الحقيقي لانتشار المثل الأعلى القومي بين اليهود . (١)

٦- التعجيل بالنهاية ، ويقصد بهذا المصطلح الضغط على الإله لإجبار المسيح على المجيء ، فاليهودية الحاخامية، في أحد جوانبها، تؤمن بأن العودة إلى أرض الميعاد ستتم في الوقت الذي يحدده الإله وبالطريقة التي يقررها، وأن العودة ليست فعلاً يحدث بمشيئة البشر. وقد جاء في التلمود (سفر الكتبوت): "لا تعودوا ولا تحاولوا أن تُرغموا الإله".

وقد اتهم الحاخاماتُ الصهيونية بأنها تسْعَى إلى التعجيل بالنهاية وتَحدِّي مشيئة الإله. والصهيونية ذاتها واعية بأن موقفها من العودة مختلف عن الموقف الديني التقليدي الذي انتقده بن جوريون ووصفه بالسلبية والاتكالية. " (٢)

وقد استطاعت الصهيونية أن تستميل كثيرًا من اليهود إلى مشروعها الاستعماري ويمكن حصر أسباب انضمام اليهود للصهيونية العالمية في سببين رئيسيين وهما :

---

(١) د. رشاد الشامي " الشخصية اليهودية " مرجع سابق ص ٧٢ .

(٢) د. عبد الوهاب المسيري " موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " م ٢ / ج ١ الباب الخامس : التعجيل بالنهاية . مرجع سابق .

١- **الاندماج اليهودي** في المجتمعات الأوربية ، الذي يهدد الهُوية اليهودية .

٢- **الاضطهاد** من قِبَل المجتمعات الأوربية الذي يهدد الوجود اليهودي .

ولقد قام اليهود الصهاينة بتنفيذ ما جاء في توراة اليهود من نبوءات كان المفروض أن إلههم "يهوه " هو الذي يقوم بها لكن ليس هناك فرق بين "يهوه" وبين شعبه المختار " والموجود يسد " ، كما يقول المصريون ، وليقوموا هم نيابة عن "يهوه" بجعل غزة تتلوى ألماً ، وباستئصال كبرياء الفلسطينيين ، وإهلاك كل الأمم العربية الزاحفة على أورشليم ، ويصبح الغرب المضطهد لليهود هو المسيخ المخلص لهم ، ويتحول الأتان الذي تنبأت التوراة أن يأتي عليه إلى طائرات ودبابات وعربات مصفحة ، وتُوتَّر أمريكا بن جوريون بدلاً من تَوْتِير الرب ليهوذا ، وتجعل موشى ديان وبيجين ورابين وشامير وشارون وأولمرت ونتنياهو كأسهم بدلاً من أفرايم ، وتثير الإسرائيليين على الفلسطينيين بدلاً من أبناء اليونان .

وهكذا توظف الصهيونية الأساطير التوراتية في تحقيق أهدافها العنصرية المقيتة .

الرد على أسطورة الخلاص الإلهي لليهود على يد الماشيخ

إن النصوص التي يستشهد بها اليهود على خلاصهم في نهاية الزمان ليست خاصة بنهاية الزمان كما يحاول حاخامات اليهود إفهامنا أو كما يحاول حكام إسرائيل فرضها علينا .

إن كل النصوص الخاصة بعودة اليهود من الشتات وتمكين " يهوه " لهم في أرض كنعان – على فرض صحتها – فهي خاصة بوعود " يهوه " ليهود السبي البابلي بالعودة إلى أورشليم وكل أنبياء الذين تنبئوا بالعودة إلى الأرض المقدسة عاشوا زمن السبي ودونك ما جاء في الترجمة التفسيرية للعهد القديم عن هؤلاء الأنبياء :

جاء في مقدمة كتاب إشعياء : " أرسل الله إشعياء في الدرجة الأولى إلى مملكة يهوذا إلا أن رسالته شملت مملكة إسرائيل في الشمال أيضا . عاش إشعياء إبان الحرب الأهلية التي نشبت بين مملكتي : إسرائيل ، ويهوذا ، وشهد دمار مملكة إسرائيل على يد جيش آشور في سنة ٧٢٢ ق.م ، تطلع إشعياء إلى ما وراء عصره إلى حقبة السبي والخلاص الذي أعده الله لشعبه . " (١)

إذن نبوءات إشعياء كانت خاصة بحقبة السبي والخلاص الذي أعده الله لشعبه المسبي ، ولا علاقة لها على الإطلاق بعودة اليهود إلى أرض الميعاد وخلاصهم على يد المسيح في آخر الزمان .

وجاء في مقدمة كتاب إرميا : " لقد عاش إرميا طوال الأربعين سنة الأخيرة من حياة مملكة يهوذا ، وشاهد وعانى من هجوم الجيش الكلداني على أورشليم ومملكة يهوذا واستيلائه عليها ، وسبي الشعب ودمار الهيكل . كان إرميا قد أنذر وحذر الناس مما سيجري عليهم ، وتوسل إليهم أن يرجعوا إلى الرب ويتخلوا عن آثامهم من غير جدوى ، بل تعرض للمهانة والاحتقار والاضطهاد .

لم يكن لدى إرميا في خضم الأحداث الرهيبة التي ألمت بمملكة يهوذا سوى رسالة واحدة يذيعها على مسامع الشعب : " توبوا وارجعوا إلى الله " ، وكانت له رسالة أخرى هي رسالة الرجاء . فمع أن شعب يهوذا قد نبذ الله ، فإن الله لم ينبذهم ، وأنه لابد أن يظهر قوته من أجل إنقاذهم من أسْرهم " (٢)

إذن كانت رسالة إرميا هي دعوة اليهود إلى التوبة لكي ينقذهم الرب من أسرهم في بابل .

وجاء في مقدمة كتاب حزقيال : " انتظم حزقيال في سلك الكهنوت ، وكان أحد الذين سُبُوا إلى بابل مع بقية اليهود الذين أجلوا عن المدينة المجيدة في سنة ٥٩٧ ق.م

(١) الكتاب المقدس ترجمة تفسيرية ط٣ جي . سي . سنتر مصر الجديدة القاهرة . ص ٨٢٤
(٢) نفسه . ص ٨٨٩

وهناك اختاره الله ليكون له نبيا . أوحى إليه الروح القدس بهذه الرسالة لتكون تحذيرًا من الدينونة القادمة على البقية الباقية في أورشليم . بيد أن إنذاراته لم تلق آذاناً صاغية من اليهود المأسورين معه ؛ وعندما تحققت نبوءاته المحزنة بدمار أورشليم في عام ٥٨٦ ق.م أقبل عليه الناس ليستمعوا إلى أقواله بلهفة وصدق .

إن رسالة حزقيال قائمة على أساس قداسة الله غير المتحولة . وهي تشتمل على وعد وتحذير في آن واحد . هي تحذير لأن الله قد وعد بمعاقبة الخطيئة وهذا لابد أن يتم . وهي وعد لأن الله قد وعد أن يظل وفيا أمينا لمحبيه وهذا لا يمكن أن ينتقض ؛ فكتاب حزقيال يظهر تحقق كلام الله الثابت في الوعد والوعيد . لقد تم خراب أورشليم حسب وعيد الله عقابا لخطيئة أهل يهوذا . من هذا يظهر أن نوعية الحياة التي يعيشها شعب الله تقرر طريقة معاملة الله لهم " (١)

رسالة حزقيال لم تكن إلا وعيدًا لليهود العُصَاة بتدمير بلادهم وشتاتهم ، ووعدًا بخلاصهم وإعادتهم إلى أرضهم إن استقاموا وأطاعوا وصايا الرب التي حملها لهم نبيهم حزقيال .

وجاء في مقدمة كتاب عاموس : " كان عاموس معاصرًا للأنبياء هوشع وإشعياء وميخا . كانت رسالة عاموس مثل رسالة هوشع موجهة إلى مملكة إسرائيل الشمالية . استهل عاموس رسالته بإعلان قضاء الله على الأمم المحيطة ، ثم خلص إلى التركيز على مصير إسرائيل نفسها ، وأعقب ذلك بسلسلة من الاستنكارات القاسية لآثام بني إسرائيل ، وعلى الأخص الآثام الاجتماعية التي شاعت في عهده ، ومنها المظالم والرشوة والطمع وعبادة الأصنام . وتلاحقت الرؤى تحمل في ثناياها نذر تلك الرسالة المخيفة . ثم ينتهي الكتاب بأقل بارقة رجاء بتوبة إسرائيل .

تعتمد رسالة عاموس على الإيمان ببر الله الأبدي ، لأن الله بار فإنه يطالب شعبه بالبر ، فإن أخفقوا في إظهار إيمانهم وبرهم من جراء الحياة الخاطئة التي يمارسونها فإنهم لابد أن يقدموا الحساب لله . ومع ذلك يعرض الرب على شعبه الصفح " (٢)

---

(١) نفسه . ص ٩٧٢

(٢) الكتاب المقدس ترجمة تفسيرية ط٣ جي . سي . سنتر مصر الجديدة القاهرة . ص ١٠٧٧

نأتي بعد ذلك إلى آخر الأنبياء وأهمهم فيما يتعلق بنبوءة الخلاص وهو زكريا .

جاء في مقدمة كتاب زكريا : " كان زكريا النبي معاصرًا لحجي النبي وقد سجَّل هذا الكتاب بإرشاد من روح الله في مستهل سنة ٥٢٠ ق.م إذ أرسله الله للمسبيين العائدين من المنفى ليشجعهم على عبادة الله من غير خوف . يبدأ الكتاب بسلسلة من ثماني رؤى تصف بلغة تصويرية حية قوة الله ، وتحكمه في شئون الناس ، وأهمية القوة الروحية ودينونة الله للخطيئة والوعد بأمور مستقبلية . " (١)

وجميع النبوءات التي تنبأ بها هؤلاء الأنبياء بخلاص بني إسرائيل من السبي قد انتهت بعودة المسبيين على يد قورش الأكبر الإمبراطور الفارسي الذي أصدر عام ٥٣٨ ق . م مرسوماً بإعادة اليهود الذين وُطِّنوا في بابل إلى فلسطين . وهذا نص المرسوم كما جاء في كتاب عزرا .

" هذا ما يقوله قورش مَلِك فارس لقد وهبني الربُّ إلهُ السماء جميع ممالك الأرض وأوصاني أن أشيد له هيكلاً في مملكة يهوذا فعلى كل واحد من أبناء شعبه أن يصعد إلى أورشليم في أرض يهوذا فيبني هيكل الرب إله إسرائيل وعلى أهل المواضع التي يقيم فيها المسبيون المغتربون أن يمدوهم بالذهب والفضة والدواب فضلا عما يتبرعون به أبناء هيكل الرب الذي في أورشليم " (عزرا ١: ٢-٦) .

والعجيب أن قورش هذا ليس يهوديًا ولم يفعل ما فعل حبًا في اليهود أو إيمانًا بعقائدهم في الخلاص إنما ليستخدم اليهود في حربه ضد أعدائه ، وتحقيقًا لمصالحه الاستعمارية تمامًا كما ستفعل الصهيونية العالمية في استخدام اليهود لتحقيق مصالحها الاستعمارية .

إذن وكما هو واضح أن كل نبوءات أسفار : إشعياء ، ، وإرميا ، وحزقيال ، وعاموس ، وزكريا ، وغيرهم تتحدث عن ذلك الخلاص الذي تم على يد قورش

(١) نفسه . ص ١١١٣

الفارسي غير اليهودي ._لذا فلا عجب أن العهد القديم يعتبر قورش هو المسيح المخلص ، وقورش هو غير اليهودي الوحيد الذي أُشير إليه في العهد القديم بأنه المسيح .

" هكذا يقول الرب لمسيحه لقورش الذي أمسكت بيمينه لأدوس أمامه أمماً ، وأحل أحزمة ملوك ، لأفتح أمامه المصراعين ، فلا تغلق الأبواب ، إنني أمشي أمامك ، وأمهد الهضاب ، وأحطم مصراعي النحاس ، وأكسر مزاليج الحديد ، وأعطيك مكنونات الكنوز وذخائر المخابئ ، حتى تعرف أني أنا الرب الذي يدعوك باسمك ، لقبتك وأنت لا تعرفني " (إشعياء ٤٥ : ١-٤)

هذه هي حقيقة نبوءة الخلاص على يد المسيخ المخلص ، ولم يرد أي نص آخر بالخلاص بعد تحقق هذه النصوص ، وعودة المسبيين لكن من اليهود من يحرفون الكلم عن مواضعه .

{ مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ } (النساء : ٤٦)

والسؤال لماذا يفعل قورش هذا مع اليهود رغم أنه ليس يهوديًا ؟!

إن قورش ليعد أول علماني عرفه التاريخ فقد فصل الدين عن الدولة وسمح بتعددية الأديان والآلهة ، وهو أول صهيوني فقد استخدم اليهود كجماعة وظيفية لخدمة مصالحه الاستيطانية في فلسطين " وخطة قورش خطة صهيونية كاملة تعني أن يعود اليهود برموزهم القومية ليصبحوا قاعدة لدولة إمبراطورية وتكون عودتهم جزءاً من سياستها الإستراتيجية العامة .

أما بقية اليهود ، فيقومون بتمويل عملية العودة ، ويتحولون إلى عملاء للإمبراطورية الجديدة أو يتحولون إلى جنود مرتزقة " (١)

(١) د . عبد الوهاب المسيري " موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " الباب الثامن فصل نهاية التاريخ. مرجع سابق .

إن توراة اليهود لتؤكد ما ذهبنا إليه من أن نبوءات أنبياء اليهود كانت خاصة بالمسبيين ولا علاقة لها البتة بخلاص اليهود آخر الزمان ، وإليك قصة السبي وعودته كما جاءت في التوراة حتى نؤكد أن من استشهد بنبوءات الأنبياء : إشعياء وإرميا وحزقيال وعاموس وزكريا على الخلاص في آخر الزمان قد افترى على هؤلاء الأنبياء الكذب باقتطاع النصوص من سياقيها وتحميلها من المعاني ما لا تحتمل .

السبي الآشوري (سنة ٧٢٢ ق.م)

إذا كان سليمان قد نجح في مراقبة وإبعاد قوى التمزيق عن مملكته فإن رحبعام ابنه قد فشل في إبقاء المملكة موحدة (الملوك الأول : ١٢) وفي النهاية تمردت القبائل الشمالية العشر وكونت مملكتها المستقلة بعاصمتها في السامرة .

وبهذا انقسمت مملكة سليمان إلى مملكتين : إسرائيل مملكة الشمال ، ويهودا مملكة الجنوب .

حكم مملكة الشمال، التي تعد الأكبر والأقوى تسعة عشر ملكاً يمثلون عددًا من الأسر الحاكمة. وإن كانت هذه المملكة قوية على الصعيد الخارجي، فإنها كانت ضعيفة داخليًّا بسبب كثرة الصراعات الداخلية والانحرافات الأخلاقية. وأدت زيادة الفروق بين الطبقات الاجتماعية إلى الظلم والفساد، وتخلى كثير من الناس عن واجباتهم الدينية بالتعبد في الأضرحة المحلية. وكانت هذه الفترة هي التي ظهر فيها كبار أنبياء إسرائيل ليطالبوا بالعبادة الصحيحة والعدالة الاجتماعية، ولكن بالرغم من استقامة عدد من الأفراد، فإن الأمة ككل وصفت في كتب التوراة (الملوك الأول والملوك الثاني) بأنها مستمرة في إصرارها على ارتكاب الشر.

" إن شعب إسرائيل شعب عنيد كعجلة جامحة ، فكيف يرعاهم الرب كحمل في مرج رحب ؟ إن أفرايم مكبل بعبادة الأصنام ، فاتركوه وحيدًا .

وحالما ينضب خمرهم ينغمسون في فسادهم مفضلين العار على الشرف ، قد صرتم الريح في أجنحتها ، وأنزلتْ بهم ذبائحُهُم الوثنيةُ العارَ .

اسمعوا هذا أيها الكهنة وأنصتوا يا شعب إسرائيل ـ وأصغوا يا أهل بيت الملك ، لأن القضاء حالٌّ بكم إذ كنتم فخا في المصفاة وشبكة منصوبة على جبل تابور ... أرض أفرايم ستصبح خرابا في يوم القضاء ، وبين أسباط إسرائيل أظهرت ما هو يقين .

قد صار رؤساء يهوذا مُتَعَدِّين كالذين ينقلون تُخُومَ الأرض ليسلبوا سواهم لهذا سأصب عليهم سخطي كالماء لقد لحق الضيق بإسرائيل ، وسحقه القضاء لأنه وطد العزم على الغواية وراء الأوثان لهذا سأكون كالعُثِّ لإسرائيل وكالسوس الناخر لشعب يهوذا ... إني سأكون كالأسد المفترس لإسرائيل ، وكالشبل لأبناء يهوذا أفترس وأمضي . أخطف ولا من منقِذ " (هوشع : ٤ ، ٥)

ويعاقبهم الله على فسادهم ، ورفضهم التوبة إليه فيرسل ملك أشور عليهم ليحكّم فيهم السيف ومن بقي حيا سباه إلى مملكة أشور .

" رفضوا أن يتحولوا إلى تائبين لذلك لن يرجعوا إلى مصر بل يصبح أشور ملكًا عليهم يهجم السيف على مدنهم ويلتهم أرْتاج بواباتها ، ويهلكهم لمشوراتهم الخاطئة قد وطد شعبي العزم على الارتداد عني لهذا ولو استعانوا بالعليِّ فإنهم لا يجدون من يرفع النير عنهم " (هوشع : ١١)

وينفذ الرب تهديده ويرسل إليهم من يفتك بالسامرة ومن فيها .

" اعتلى هوشع بن أيْلة عرش إسرائيل في السامرة تسع سنوات . وارتكب الشر في عيني الرب ، إلا أنه كان أفضل قليلاً من أسلافه ملوك إسرائيل . وزحف عليه شَلْمَنْأسَر ملك أشور . فصار هوشع له تابعا يدفع له الجزية .

وما لبث أن اكتشف ملك آشور خيانة هوشع ، الذي أرسل وفدًا يستغيث بسَوَا ملك مصر ، ولم يؤد جزية لملك أشور كعهده في كل سنة فقبض عليه ملك أشور وزَجَّه موثقا في السجن . واجتاح ملك أشور أرض إسرائيل وحاصر السامرة ثلاث سنوات

وفي السنة التاسعة من حكم هوشع سقطت السامرة ، فسبى ملك أشور الإسرائيليين إلى أشور .. وقد حلت هذه النكبة ببني إسرائيل لأنهم أثموا في حق الرب إلههم الذي أخرجهم من ديار مصر من تحت نير فرعون وعبدوا آلهة أخرى .. وأقاموا لأنفسهم أنصابا وتماثيل لعشتاروث على كل مرتفع .. واقترفوا الموبقات لإغاظة الرب ، عابدين الأصنام التي حذرهم ونهاهم الرب عنها .. ولكنهم أصموا أذانهم وأغلظوا قلوبهم كآبائهم الذين لم يثقوا بالرب إلههم وتنكروا لفرائضه وعهده الذي أبرمه مع آبائهم وتجاهلوا تحذيراته ونواهيه لهم وضلوا وراء أصنام باطلة فأصبحوا هم أنفسهم باطلين ..

فاحتدم غضب الرب على إسرائيل ، وطرهم من حضرته ، ولم يبق سوى سِبط يهوذا . ولكن حتى سبط يهوذا لم يحفظ وصايا الرب إلهه بل نهج في طُرُق إسرائيل التي سلكتها . فنبذ الرب كل ذرية إسرائيل وأذلهم وأسلمهم ليد آسريهم وطرهم من حضرته .. فَسُبِيَ الإسرائيليون من أرضهم إلى أشور إلى هذا اليوم .. ونقل ملك أشور أقواما من بابل وكوث وعوَّا وحماة وسفروايم ، وأسكنهم مدن السامرة محل بني إسرائيل فاستولوا على السامرة وأقاموا مدنها "(ملوك الثاني:١٧)

السبي البابلي (سنة ٥٨٦ ق.م)

وبدلاً من اتعاظ بقية مدن إسرائيل بما أحدثه ملك أشور بالسامرة وأهلها راحوا يتمادون في غيهم وفسادهم فأوحى الرب إلى نبيهم ميخا أن أنذر كل من مملكة يهوذا ومملكة إسرائيل بخراب أورشليم بسبب فساد شعب إسرائيل .

" استمعوا هذا يا رؤساء بيت يعقوب وقضاة شعب إسرائيل الذين يكرهون العدل ويحرفون الحق . الذين يبنون صهيون بالدم وأورشليم بالظلم . إذ يحكم رؤساءكم بالرشوة ، وكهنتها يعلِّمون بالأجرة ويتعاطى أنبياؤهم العَرَافة لقاء المال ، ومع ذلك يدعون الاتكال على الله قائلين : أليس الرب في وسطنا ؟ لذلك لن يصيبنا مكروه . لهذا من جرَّاء أعمالكم ستحرث صهيون كالحقل وتصبح أورشليم كومة من الخرائب، وجبل الهيكل مرتفعا تنمو عليه أشجار الغاب " (ميخا : ٣)

" ثم قال الرب على لسان عبيده الأنبياء : " لأن منسى ملك يهوذا اقترف جميع هذه الموبقات ، وارتكب شرورا أشد من فظاعة شرور الأموريين الذين كانوا قبله ، وأضل يهوذا فجعله يأثم بعبادة أصنامه ، لذلك يقول الرب إله إسرائيل : " ها أنا أجلب شرًّا على أورشليم ويهوذا فتَطِنُّ أذنا كل من يسمع به . وسأوقع على أورشليم العِقاب الذي أوقعته بالسامرة وبأخآب ونسله . وأمسح أورشليم من الوجود كما يمسح الطبق من بقايا الطعام ثم يقلب على وجهه ليجف . وأنبذ بقية شعبي وأسلمهم إلى أيدي أعدائهم فيصبحوا غنيمة وأسرى لهم ، لأنهم ارتكبوا الشر في عينيَّ وأثاروا غضبي منذ خروج آبائهم من مصر إلى هذا اليوم . وزاد منسى فسفك دم أبرياء كثيرين حتى ملأ أورشليم من أقصاها إلى أقصاها " (ملوك الثاني : ٢١)

ونفَّذ رب إسرائيل تهديده لشعب إسرائيل ويهوذا فبعث عليهم رجلاً ذا بأس شديد فاحتل أورشليم وأحرق الهيكل وقصْر الملك وسائر بيوت أورشليم " وفي اليوم السابع من الشهر الخامس من السنة التاسعة عشرة من حكم الملك نَبُوخَذْنَاصَّر ملك بابل ، قَدِمَ نُبوزرادان قائد الحرس الملكي من بابل إلى أورشليم ، وأحرق الهيكل وقصر المَلك وسائر بيوت أورشليم ، وكل منازل والعظماء وهدمت جيوشُ الكلدانيين التي تحت إمرة رئيس الحرس الملكي جميعَ أسوار أورشليم ، وسبى نُبوزرادان بقية الشعب الذي بقي في المدينة، والهاربين الذين لجئوا إلى ملك بابل وسواهم من السكان ولكنه ترك فيها فقراء الأرض المساكين ليزرعوها ويفلحوها .. وسبى رئيس الحرس الملكي " سريا " رئيس الكهنة و" صفنيا " مساعده وحرَّاس الباب الثلاثة وقبض على خَصِيٍّ واحد من أهل المدينة ، كان قائدًا للجيش وعلى خمسة رجال من ندماء الملك الذين تم العثور عليهم في المدينة وكاتب قائد الجيش المسئول عن التجنيد وستين رجلاً من الفلاحين أهل المدينة واقتادهم نُبوزرادان رئيس الحرس إلى ملك بابل المُعَسْكِر في رَبْلة فقتلهم ملك بابل في ربلة في أرض حماة وهكذا سبي شعب يهوذا من أرضه أما بقية الشعب الذين تركهم نبوخذناصر ملك بابل في أرض يهوذا ..

فهب جميع الشعب ، صغيرهم وكبيرهم ، ورؤساء الجيوش ، وهربوا إلى مصر خوفًا من انتقام الكلدانيين " (ملوك الثاني : ٢٥)

وتصف لنا توراة اليهود في موضع آخر أسباب السبي البابلي فتذكر أن بني إسرائيل قبل السبي البابلي " ازدادوا تورطاً في خيانة الرب ، مقترفين كل رَجَاسات الأمم ، حتى إنهم نجَّسوا بيت الرب الذي قدَّسه في أورشليم .

وأرسل الرب إله آبائهم إليهم رسلاً بصورة متوالية محذرًا إياهم لأنه أشفق على شعبه وعلى مسكنه .

فكانوا يهزئون برسل الله ، ورفضوا كلامه واستهانوا بأنبيائه ، حتى ثار الرب على شعبه وامتنع كل شفاء .فأرسل إليهم ملك الكلدانيين فقتل نُخْبَتَهم بالسيف في عُقْر الهيكل المقدس ، ولم يرحم الرب فتى أو عذراء أو شيخًا أو أشيب بل أسلمهم جميعًا ليد الكلدانيين الذين استولوا على آنية بيت الله كبيرها وصغيرها ، وخزائن قادته ونقلوها كلها إلى بابل .

وأحرقوا الهيكل وهدموا سور أورشليم وأشعلوا النار في جميع قصورها ، ودمروا تحفها الثمينة .

وسبى نبوخذناصَّر الذين نجوا من السيف إلى بابل فأصبحوا عبيدا له ولأبنائه إلى أن قامت ملكة فارس " (أخبار الأيام الثاني : ٣٦)

عودة اليهود من السبي

عندما دُمرت مملكة الشمال شتت المنتصرون القبائل في كل أنحاء الإمبراطورية الآشورية بطريقة لم تستطع فيها تلك القبائل المحافظة على هويتها الدينية والثقافية. وكانت النتيجة إذابة وإبادة مملكة إسرائيل الشمالية. وتعرف هذه القبائل "بالقبائل العشر المفقودة" التي لم يعد لها وجود لأنها لم تحظ بالبقاء بعد غزو الآشوريين لمملكتهم. أما قبيلتا يهودا وبنيامين اللتان بقيتا في المملكة الجنوبية لمدة مئة وخمسين

سنة أخرى فقد كانتا تعرفان مجتمعتين باسم اليهود لأن القبيلة الكبيرة يهودا كانت هي المسيطرة إلى حد بعيد .

وقد عمل هؤلاء اليهود في خلال هذه الفترة بجد لغرس الديانة اليهودية وقيمها وأخلاقها في أعماق قلوب الناس. وعندما غزت بابل في النهاية يهودا سنة ٥٨٦ قبل الميلاد ، ودمرت الهيكل، سبت عددًا كبيرًا من سكانها إلى العاصمة البابلية. استطاع اليهود أن يحافظوا على هويتهم الدينية والثقافية حتى وهم أقلية صغيرة في أرض أجنبية. يسجل المزمور المئة والسابع والثلاثون شعور اليهود المسبيين في بابل :

"على ضفاف أنهار بابل جلسنا، وبكينا عندما تذكرنا أورشليم، هناك علقنا أعوادنا على أشجار الصفصاف، هناك طلب منا الذين سبونا أن نشدو بترنيمة والذين عبَدونا أن نطربهم قائلين :

" أنشدوا لنا من ترانيم صهيون١٦ كيف نشدو بترنيمة الرب في أرض غريبة ؟ إن نسيتك يا أورشليم ، فلتنس يميني مهارتها .ليلتصق لساني بحنكي إن لم أذكرك ولم أفضلك على ذروة أفراحي. "

دام السبي الإجباري في بابل قرابة خمسين عاما وبدخول سنة ٥٣٩ قبل الميلاد . [1]

عفا الله عنهم وأعادهم إلى أورشليم لعلهم يشكرون نعم الله عليهم ولا يعودون إلى نبذ شريعته وحربه مرة ثانية .

" وفي السنة الأولى لحكم قورش ملك فارس ، وتتميما لكلام الرب بفم إرميا ، حرَّك الرب قلب قورش فأطلق نداء في كل أنحاء مملكته قائلا " هذا ما يقوله قورش ملك فارس : الرب إله السماء وهبني جميع ممالك الأرض ، وأمرني أن أبني له هيكلا في أورشليم التي في يهوذا ، وعلى كل واحد من شعب الرب أن يرجع إلى هناك ، وليكن الرب معكم " (أخبار الأيام الثاني ٣٦ : ٢٢- ٢٣)

([1]) الحاخام روبن فايرستون و د. ستيفن ستاينلايت والحاخام جيمز أ. رودين . وآخرون " ذرية إبراهيم " مرجع سابق ص ٣٢

هزم قورش ملك فارس البابليين. وسمح بعودة الراغبين من اليهود إلى أرض إسرائيل (عزرا ١:١) .

عاد عشرات الآلاف في السنة التالية ، لكن كثيرين آخرين اختاروا البقاء في بابل انضم العائدون في بناء الهيكل في القدس إلى اليهود الذين لم يغادروا الأرض. واكتملت إعادة الهيكل سنة ٥١٥ قبل الميلاد ، إلا أن كل شيء لم يكن على ما يرام في يهودا، لأن البلد بقيت فقيرة والقدس كانت دون تحصينات ومعرضة للخطر، وكان الناس يعيشون في فوضى، ودون نظام ديني وحكومي قوي، وازداد التزاوج من الجيران الوثنيين وأصبح الالتزام الديني ضعيفا .(١)

إن بني إسرائيل ما شكروا نعم الله عليهم بل عادوا يرتكبون نفس المعاصي التي عاقبهم الرب بالسبي عليها فور عودتهم إلى أورشليم ؛ لذا بعث لهم " ملاخي " نبيًّا لإصلاح فسادهم ، وكان" ملاخي " آخر الأنبياء المدونة سيرتهم في التوراة ، وكان كتابه آخر كتب أنبياء اليهود .

وجاء في مقدمة كتاب ملاخي : " في نحو النصف الأول من القرن الخامس قبل الميلاد دوَّن لنا ملاخي بإيحاء من الله هذا الكتاب . كان " ملاخي " نبيا أرسله الله إلى المسبيين العائدين من المنفى ليوجه الشعب إلى الاهتمام الجدي بمشكلاتهم الروحية . كانت المشكلات الرئيسية التي هبَّ ملاخي لمعالجتها والتصدي لها هي المشكلات المتعلقة بفساد الكهنة وإهمال هيكل الله والخطايا الشخصية التي ترتكب في البيوت .

لم يكن الشعب قد تلقن حقاً درسه من مأساة الأسر . كان الله قد كتب عليهم الذهاب إلى المنفى من جراء ما اقترفوا من آثام ، وها هم الآن يرتكبون نفس هذه المعاصي فقد شاع الطلاق في وسطهم ، وطغت الأنانية عليهم ، وانحرفوا نحو الغدر ؛ وأهملوا الهيكل والعبادة فيه ، وران عليهم ذبول روحي بدت مظاهره في كل مكان . " (٢)

---

(١) نفسه ص ٣٣

(٢) الكتاب المقدس ترجمة تفسيرية مرجع سابق . ص ١١٢٥

يشتمل كاتب " ملاخي" على موضوعين أساسيين أولهما ، غضب الرب على اليهود ولاسيما كهنتهم بسبب تدنيسهم لاسم الرب وعدم الالتزام بوصاياه ، لذا فقد توعدهم باللعن ومحق البركة :

"١ والآن إليكم هذه الوصية أيها الكهنة . ٢ إن كنتم لا تسمعون ولا تجعلون في القلب لتعطوا مجدًا لاسمي قال رب الجنود فإني أرسل عليكم اللعن وألعن بركاتكم بل قد لعنتها لأنكم لستم جاعلين في القلب ... ٨ أمَّا أنتم فحدتم عن الطريق وأعثرتم كثيرين بالشريعة أفسدتم عهد لاوي قال رب الجنود . ٩ فأنا أيضًا صيَّرتكم محتقرين ودنيئين عند كل الشعب كما أنكم لم تحفظوا طرقي بل حابيتم في الشريعة (ملاخي:٢) " ١٣ أقوالكم اشتدت عليّ قال الرب وقلتم ماذا قلنا عليك ١٤ قلتم عبادة الله باطلة وما المنفعة من أننا حفظنا شعائره وأننا سلكنا بالحزن قدام رب الجنود . (ملاخي:٣) " ١ فهوذا يأتي اليوم المتقد كالتنور وكل المستكبرين وكل فاعلي الشر يكونون قشا ويحرقهم اليوم الأتي قال رب الجنود فلا يبقي لهم أصلاً ولا فرعًا . (ملاخي : ٤)

أما الموضوع الثاني الذي يشتمل عليه كتاب ملاخي فهو وصيته لليهود بالالتزام بشريعة موسى ، وبشارته لهم بإرسال نبي اسمه إيليا يعطف قلب الآباء على أبنائهم وقلب الأبناء على آبائهم ، وتوعدهم إن لم يؤمنوا بهذا النبي فسوف يصب عليهم اللعن في كل الأرض .

" ٤ اذكروا شريعة موسى عبدي وسائر فرائضي وأحكامي التي أعطيتها في جبل حوريب لجميع شعب إسرائيل . ٥ هاأنذا أرسل إليكم إيليا النبي قبل مجيء يوم الرب اليوم العظيم والمخوف . ٦ فيرد قلب الآباء على الأبناء و قلب الأبناء على آبائهم لئلا آتي و اضرب الأرض بلعن . " (ملاخي : ٤)

ولكن اليهود كدأبهم لم يلتزموا بشريعة موسى ، ولم يؤمنوا بعيسى نبيًّا فسلط عليهم الرومان يسومونهم سوء العذاب يذبحونهم ويستعبدونهم ويهدمون معابدهم ويجعلون بيت إسرائيل خرابًا .

اليهود تحت حكم الرومان

لقد وضعت روما سيطرتها المحكمة على أرض يهودا مع القرن الأول ق.م .وأصبح حكام روما وولاتها أكثر قساوة وظلمًا حتى ثار اليهود سنة ٦٦ تحت زعامة المتحمسين الذين يؤمنون بأن الله سيمدهم بعونه في حربهم ضد كفار الرومان ويأتي " بآخر الزمان " المتوقع. لكن اليهود لم يكونوا علي رأي واحد فيما يتعلق بهذه الحرب. اعتقد كثير منهم إمَّا أن الوقت ليس هو الوقت الموعود، وإمَّا أن الحرب ليست الوسيلة المناسبة لتحقيق الخلاص.

إن الثورة اليهودية ضد روما قد تسببت في تمزيق هائل في الإمبراطورية الرومانية، واستقدمت وحدات من الجيش الروماني من مناطق متعددة من أوروبا والشرق الأوسط لإخمادها والقضاء عليها. ونجحت روما في النهاية بإعادة السيطرة على القدس سنة ٧٠ م ودمرت الهيكل في أثناء العملية. وكانت آخر قلعة تسقط في أيدي الرومان هي " مسّادا " قرب البحر الميت وذلك سنة ٧٣ م .

لقد توقفت القرابين بعد تدمير الهيكل وانتهت الكهانة الوظيفية، ولم تعد القدس تلعب دور الموحد للأمة اليهودية المشتتة. ومع نهاية زعامة الكهانة اليهودية بدأ حكماء اليهود المتعلمين، أو الأحبار، يملئون الفراغ. ولعب السنهدرين أو مجلس العلماء دور المجلس التشريعي والقضائي المركزي وأصبح رئيسه السلطة اليهودية المركزية في العلاقات مع روما. ووضع تدمير الهيكل نهاية لليهودية التوراتية وبداية لظهور اليهودية الربانية (الحاخامية)

حدثت ثورة يهودية أخيرة في غاية التدمير ضد روما، وكان سببها أيضًا الحكم الروماني الجائر، وقادتها شخصية عسكرية مهدية باسم شيمون باركوخبا ومساندة

الحاخام عقيبا. انتزعا القدس من الرومان سنة ١٣٢ وحاولا إعادة بناء الهيكل. لكن فشلت "انتفاضة باركوخبا". ومحى الامبراطور الروماني هدريان مدينة القدس بأكملها سنة ١٣٥م ومنع اليهود من الظهور حول القدس تحت تهديد الموت. وأصبحت المنطقة حول المدينة خرابًا مهجورًا .

غيّر الرومان اسم يهودا إلى اسم "فلسطين" المأخوذ من اسم الشعب القديم البائد المعروف بالفلسطينيين. أصبحت يهودا خرابًا، وفر الناجون شمالاً إلى الجليل أو خارج المنطقة كليًّا. ومنع الرومان الوثنيون - وكذلك المسيحيون فيما بعد - اليهود من دخول القدس ما عدا يومًا واحدًا في السنة، اليوم التاسع من شهر آب الذي يصادف يوم حداد يهودي شامل . ([1])

المسيح المنتظر عند اليهود

لقد تطور مفهوم المشيحانية عبر العصور كما كان الأمر مع الأفكار اليهودية المعقدة. إن اللفظة العبرية "الماشيح" (بالعربية: المسيح) تشير في الأصل إلى ملك أو كاهن أدخل إلى المركز رسميًّا عن طريق مسح رأسه بالزيت (كتاب صموئيل الأول ١ : ١) فلما أصبح داود ملك بني إسرائيل صار محبوبًا كالملك الكبير وسمى بالذي " تمسَّح "، ولقد اعتقد أن حكم أسرته سيستمر إلى الأبد. فلما انهارت إمبراطوريته الكبيرة نشأ اعتقاد أن بيت داود سيعاد يومًا من قبل ملك قوي من أسرة داود ماشيح آخر مثل داود نفسه. ولقد استمرت هذه الفكرة في التطور بعد الفترة التوراتية. فاعتقد اليهود في الفترة الرومانية أن الله سيبعث ملكًا كبيرًا من بيت داود لكسر أغلال عبودية الإمبراطورية الكافرة وسيحكم على مملكة مجددة سيعود إليها اليهود الذين يعيشون في المنفى والشتات .

([1])الحاخام روبن فايرستون و د. ستيفن ستاينلايت و الحاخام جيمز أ. رودين . وآخرون " ذرية إبراهيم " مرجع سابق ص ٥١ .

إن الخلاص المشيحاني أسْقِط من أي سياق تاريخي مباشر مع دخول فترة التلمود[1] فالمسيح أصبح يعتبر الآن كملك سينقذ وسيحكم إسرائيل في ذروة التاريخ البشري، وسيكون الأداة التي ستؤسس المملكة الإلهية العادلة على الأرض في آخر الأيام. وسيعيد فترة السعادة الفيزيقية والروحية معًا. يجب التنبيه هنا أن كل الآراء اليهودية عن المسيح تفهم بأن المسيح ليس إلا أداة إلهية، وليس المنقذ والمخلص كما ورد في المسيحية. ففي الديانة اليهودية الله وحده هو المنقذ والمخلص. فليس المسيح إلا عبارة عن أداة إلهية. وهكذا فإن المفهوم اليهودي عن المسيح الذي سبق الفكرة المسيحية كمنقذ إلهي، هو مشابه تماما للمفهوم الإسلامي الذي أصبح مرتبطا بالمهدي المنتظر الذي سيعيد الدين والحكم العادل إلى العالم " [2]

فكرة ظهور المسيح ظهرت إذن نتيجة إحساس اليهود بالهوان ، والعجز عن الدفاع عن أنفسهم ومقدساتهم لذا بدأت فكرة المسيح المخلص تراودهم ، وأحلام مملكة داود تساورهم ، لكن ليس هناك من دليل توراتي على ظهور مسيح جديد بعد قورش . لكن هذا ليس مهما فبعد تدمير الهيكل انتهت اليهودية التوراتية وبدأت اليهودية الربانية (الحاخامية) فحلَّ الحاخامات اليهود محل الأنبياء ، وحل التلمود محل التوراة ، وأصبح من حق الحاخامات أن يشرعوا من دون الله ، وأن يحرِّفوا كلام التوراة عن مواضعها ،وأطاع اليهود كلام الحاخامات وإن خالف التوراة .

{ اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ }(التوبة : ٣١)

([1]) في أعقاب تخريب الهيكل المقدس في أورشليم القدس على يد الرومان عام ٧٠ ق.م، جمع علماء الديانة اليهودية في أرض إسرائيل مجلدات المشناة الستة لتسجيل وحفظ سنن الشريعة والقوانين والعادات الدينية اليهودية .وخلال القرون الخمسة التالية ألحقت بالمشناة، الغمارا في فقه الشريعة، وهي عبارة عن شروح مسهبة وحواشي ومناظرات وتفاسير دوّنها حاخامات في أرض إسرائيل وفي بابل. ويشكل هذان النصان التلمود الذي يظل مصدرا حيا للدراسة والفكر والتفسير اليهودي" نقلا عن موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية .

([2]) الحاخام روبن فايرستون و د. ستيفن ستاينلايت و الحاخام جيمز أ. رودين . وآخرون " ذرية إبراهيم " مرجع سابق ص ١٦٧

وفي المسند، والترمذي أن عَديّ بن حاتم قال: يا رسول الله، ما عبدوهم. قال: "بَلَى، إنَّهُمْ أَحَلُّوا لَهُمُ الْحَرَامَ وحَرَّمُوا عَلَيْهِمُ الْحَلالَ، فَاتَّبَعُوهُمْ، فَذَلِكَ عِبَادَتُهُمْ إِيَّاهُمْ".(1)

لذا فإن أحبار اليهود عادوا إلى نفس نبوءات الأنبياء التي تحققت على يد قورش يتأولونها لتبشر بمسيح جديد يأتي ليخلصهم مما فعله بهم الرومان ، ويحقق لهم الوعود الإلهية ويأتي بيوم القيامة . وسيكون هذا دأبهم طوال التاريخ فعند كل كارثة أو اضطهاد تظهر فكرة المسيح المنتظر الذي يشترط فيه شرطان :

١- أن يكون من نسل داود .

٢- أن يحقق لهم الوعود الإلهية (العودة ، والاختيار ، والخلاص)

وبالقطع لن يأتي رسول من عند الله ليحقق لهم ما تهوى أنفسهم ؛ لذا كفروا بكل الأنبياء والمرسلين الذين أتوا بعد ذلك بل وقتلوا فريقا منهم .

{ كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون } (البقرة : ٧٠)

يقول حاخامات اليهود : " لقد كان شعور توقع المسيح المخلص عاليًا خلال الفترة الرومانية واعتقد عدد من اليهود أن بعض الشخصيات النادرة هي فعلاً المسيح المنتظر. كان أشهر هذه الشخصيات عيسى (يسوع) وإن كان بعض اليهود آمنوا بمقامه كمسيح مخلص، فإن معظمهم لم يؤمنوا به .وشكّل أولئك اليهود الذين آمنوا به مسيحًا المسيحية التي قبلت وطالبت بالاعتقاد بمسيحية يسوع كحقيقة دينية. وبعد ذلك بوقت قصير تطلب المسيحية الاعتقاد بأن يسوع لم يكن فقط المسيح المنتظر، بل إنه أيضًا ابن الله بعينه.

رفض معظم اليهود الاعتراف بمسيحية يسوع لأن المسيح الحقيقي بالنسبة للديانة اليهودية، سيأتي بالخلاص المباشر ولا يحتاج إلى " قدوم ثانٍ ". ولقد انتقلت

(1) تفسير ابن كثير ج٢ ص ٦٦ .

المسيحية إلى ما وراء الإيمان اليهودي المقبول عندما بدأ اتباع عيسى يطالبون أيضًا بضرورة الاعتقاد بأن عيسى ابن الله. وتعتبر الديانة اليهودية أن فكرة الثالوث انتهاك لوحدانية الله . " [1]

لقد توصل بعض الحاخامات (الربانيين) اليهود إلى نتيجة مفادها أن الله كتب على الشعب اليهودي أن يظل في المنفى إلى حين قدوم المسيح إثر تدمير الهيكل الثاني وتشتيت الرومان لليهود عقب ذلك. لقد علموا أنه لم يعد بالإمكان، وليس مرغوبًا لليهود أن يتحكموا في مصيرهم السياسي وسيظل الأمر كذلك إلى حين قدوم المسيح وقيامه بتخليص ليس فقط اليهود بل كل العالم ؛ فقد انتهت كل ثورات اليهود بالفشل وبالتدمير لعدد كبير من أهالي اليهودية فيما بعد. وكان الدرس الذي استنتجه بعض زعماء الدين من هذه الكوارث هو أنه يجب على الناس أن ينتظروا حتى يأمر الله بموعد الخلاص. فالله وحده فقط هو الذي يملك القدرة لتحديد موعد الخلاص . فمحاولة " ليّ ذراع الله " في العمل عبر القنوات السياسية لإنشاء دولة يهودية لا تؤدي إلا إلى غضب الله وإلى تدمير بشع آخر . [2]

الصهيونية والتعجيل بالنهاية

ظلت هذه الرؤية للمسيح هي الحاكمة طوال التاريخ اليهودي حتى ظهرت الحركة الصهيونية التي بدأت ونظمت بالكامل تقريبًا من قبَل الأشخاص الذين لم ينتسبوا إلى المبادئ الدينية والعقائدية للديانة اليهودية التقليدية. فالصهاينة لم يتفقوا مع الحاخامات اليهود ولم يطلبوا مشورتهم، وبالعكس فإنهم نادوا بتأسيس دولة عَلمانية حديثة، يكون فيها اليهود في مأمن من الاضطهاد والظلم ومن الخوف الدائم من العنف .

وكنتيجة لهذا، فإن جماعة من زعماء الدين قد عارضوا الصهاينة منذ البداية. ولهذا بقي الصهاينة على وجهة الحصر تقريبا عَلمانيين .

([1]) الحاخام روبن فايرستون و د. ستيفن ستاينلايت و الحاخام جيمز أ. رودين . وآخرون " ذرية إبراهيم " مرجع سابق ص ٧١

([2]) نفسه ص ٧١

لكن مع الثلاثينات من القرن العشرين بدأ يظهر تفسير ديني جديد للصهيونية مع أفكار الحاخام أبراهام إسحاق كوك، أحد زعماء الطائفة اليهودية المؤثرين في فلسطين . فلقد اقترح أن الصهاينة العَلمانيين لم يقوموا بعملية ليّ الذراع مع الله، لكنهم كانوا في الحقيقة، يقومون بتنفيذ المخطط الإلهي، وإن كان ذلك عن غير قصد، بتأسيسهم دولة يهودية ، وبذلك فإنهم بدئوا عملية الخلاص. ويرى كذلك أن إرادة الله، كانت وهي لا تزال لغزاً، لكن العلامات توحي بأن الخلاص النهائي قريب المنال. وهكذا فإن على اليهود المتدينين مساعدة الصهيونيين، أو على الأقل، فإن عليهم أن لا يحكموا عليهم بالإدانة بسبب عملهم في بناء أرض إسرائيل. لقد تم تفسير بشاعة الهولوكوست من قبل بعض مناهضي الصهيونية من اليهود الأرثوذكس كعقاب شديد على محاولة ليّ الذراع مع الله (استباق الأحداث). لكن بالنسبة لمعظم الآخرين، سواء من الأرثوذكس أو المحافظين ، أو الإصلاحيين أو العلمانيين فإن الهولوكوست أثبتت إيمانهم أن دولة يهودية فقط هي التي تستطيع أن تحمي يهود العالم من أي كارثة مستقبلية .

لقد فسر كثير من اليهود الأرثوذكس انتصارات إسرائيل في حرب الاستقلال سنة ١٩٤٨، وأكثر من ذلك حرب ١٩٦٧، على أنها علامات إلهية تبين أن الخلاص أصبح في متناول اليد أخيرا. وكنتيجة لهذا أصبحت اليهودية الأرثوذكسية صهيونية أكثر فأكثر في خلال النصف الثاني من القرن العشرين، بسبب وضع إسرائيل تمامًا داخل عملية وصول الخلاص النهائي قريب المنال. لكن الصهيونية نفسها قد أخضعت لعدة تغييرات وتطورات. ففي الوقت الذي يستمر بعض الصهاينة بالدعوة إلى السيطرة السياسية اليهودية على كل أرض التوراة الإسرائيلية، فإن الأغلبية الساحقة تتجه أكثر فأكثر نحو قبول دولة أقل حجما بكثير بحيث تحمي هويتها اليهودية والديمقراطية وتكون في علاقة تعاون وثيقة مع جيرانها العرب والمسلمين[1]

([1]) الحاخام روبن فايرستون و د. ستيفن ستاينلايت و الحاخام جيمز أ. رودين . وآخرون " ذرية إبراهيم " مرجع سابق ص ٧١- ٧٢

بعد أن عرفنا موقف اليهود من المسيح ومن المسيحية نذكر الآن موقف المذاهب المسيحية من اليهود واليهودية والصهيونية .

موقف الكنيسة الكاثوليكية من اليهود

كان الموقِف التقليدي للكنيسة الكاثوليكية، خِلال قريبٍ مِن ألفي عام، تِجاه اليهود، يقوم على ثلاثِ نظريات، حتى مجمع الفاتيكان الثانِي، وقوانِين: ١٩٦٤ وهذه النظريات هِي :

١ـ إن اليهود بِقتلهم يَسُوع، قد قتلوا الرب، فهم الشعب " قاتل الإله ".

٢ـ والشعب المختار من الرب هو منذئذٍ الكنِيسة .

٣ـ والعهد القدِيم تجسِيد رمزي مسبق لِلعهدِ الجدِيد .

لقد أدَّى التفسِير التقليدي ـ إذن ـ إلى تصور أن اليهود حِين رفضوا الاعتراف بيسوع رسولا للرب ، فلم يهتدوا، قد قطعوا أنفسهم من الأمة الإبراهيمية، وصاروا بِصرف النظر عن كونهم الشعب المختار، محكومًا عليهم باللعنةِ، جرَّاء آثامهم، لقد عاقبهم الله مِن قبل بأن طردهم من فلسطين، ودفعهم سبايا إلى بابل، ومع ذلك فقد تمَّ الوعد الذِي أعطاه الرب لإبراهيم، رغم خطاياهم، فبعد أن عُوقبوا بالسبي فِي القرن السابع قبل المِيلاد أعادهم " قورش " إلى فلسطين، وعندما عَصَوا مرة أخرى وكان عِصيانهم كبيرًا برفضهم الاعتِراف بيسوع، مسيحًا مكملاً للوعد ـ عاقبهم الرب بصورة أقسى، أيضًا، فقد قطَّعَهُم فِي الأرض أُمَمًا، وَفَرَّقَهُم فِي كل أنحاء الدنيا، فلم يَعُد يجد السلام مِن بينهم ـ منذئذ ـ إلا بعض أفراد، يتحوَّلون إلى المسِيحِية.

وما لبِثت أهمية أورشليم ذاتها أن تناقصت فِي نظر الكنِيسة، ولاسيما بعد عام: ٥٩٠ م، ففِي عهد البابا جريجوار الأكبر، والذِي كان جالسا على كرسي البابوية، مركز السلطة المسِيحِية ـ منح الأولوية نهائيًّا لروما، وبذلك لم يَعُد لأورشليم دَوْر في القيادة الروحِية، لم تَعُد سوي مكان للحج، ولم تَسْتَعِد قيمتها، باعتبارها مركزًا للاهتمام إلا عندما استولى عليها الأتراك السلاجقة، وحينئذ وُلدتْ فِكرة الحروب الصليبية.

تِلكمُ هِي النظرية الرسمِية للكنيسة الكاثوليكية، خِلال ألفي عام، وكان لها نتيجتان عامتان:

١- أنها أدَّت إلى تولد مبدأ معاداة السامية ، وهو مبدأ مسيحي من الناحِية النوعية، فقد اعتبرت الكنِيسة الكاثوليكية، حتى منتصف القرن العشرين، أن " اليهود " كانوا هم " الشعب القاتل "، قاتل الرب في يسوع المسيح، وهي فكرة بشعة، تجعل شعبًا بأكمله، ولعدة قرون، مسئول عن جريمةٍ ارتكبتها منذ ألفي عام هيئته الكهنوتية .

٢- ومن الناحِية العقدية والتفسيرية ـ كانت النظرية الرسمية ـ ولا سيما منذ "مدينة الرب " للقديس أوغسطين أن تكون قراءة العهد القديم بطريقةٍ رمزية تُرى في المشاهد التِي قدمها باعتبارها أحداثا تاريخية، كما تُرى في نبواته ـ تَصوُّرًا رمزيًّا مُسَبَّقًا للمسيحِية .

أما فِيما يتعلق بالحالةِ الخاصة للكنيسة المسيحية وعِلاقتها بالتاريخ اليهودي السابق عليها فإنها قد فسرت " عودة صهيون " بأنها مِن الناحية الرمزية تشبه عودة المسِيحِي إلى نقاء إيمانه .

وهكذا مطَّطوا في الحركة، التِي كانت فِي الأناجيل، ولاسيما إنجيل متَّى ـ تهدف إلى تِبْيَان أن في حياة المسِيح إنجازًا لتنبؤات العهد القدِيم.

يقول المؤرخون الأكاديميون اليهود: " تعتبر الديانة المسيحية نفسها الوريث الطبيعي للديانة اليهودية ، ويولع المسيحيون باعتبار أنفسهم " إسرائيل الحقيقية مفترضين بذلك أن اليهود ليسوا أهلا للاسم . وبسبب اعتبار المسيحية نفسها ناسخة لليهودية فإن النظرة المسيحية الذاتية نفسها تتطلب أن يهان اليهود والديانة اليهودية ويصغروا علانية. وأصبح إذاً في غاية الأهمية لليهود الذين يعيشون بين المسيحيين أن يعيشوا في وضع منحط ومهين . (1)

(1) الحاخام روبن فايرستون و د. ستيفن ستاينلايت و الحاخام جيمز أ. رودين . وآخرون " ذرية إبراهيم " مرجع سابق ص ٥٥ .

لقد ظهرت نزعة معاداة السامية، المسيحِية أصلاً ـ مصحوبة بانفجار شرس جدًا، أثناء الحروب الصلِيبية، وكانت أول المذابح الكبرى التي أقيمت لليهود على يد المحاربين المسيحيين، وهم في طريقهم إلى فلسطين، بل إن جودفروي دوبريون، بمجرد استيلائه على بيت المقدس لم يقنع هو وجيشه بإبادة المسلمِين أو طردهم، فقد حبسوا الأمة اليهودية فِي المعابد، ثم أهلكوها إحْرَاقًا.

وفِي أوربا كان الملوك الصليبيون هم الذين طردوا اليهود: إدوارد الأول فِي إنجلترا، وقد طردهم عام : ١٢٩٠م، وفيليب دي بل، ملك فرنسا، طردهم عام: ١٣٠٦م، وقد مضى ملوك إسبانيا إلى هذين الحدَّين من التطرف فِي أوربا "المسِيحِية"، فقد طرد اليهود أو ذبحوا بيد الملوك "الكويوليك جِدًّا"، وذلك إبَّان نجاحهم في هدم آخر الممالِك الإسلامِية عام: ١٤٩٢م، مملكة غِرناطة.

أما روسيا المقدسة فقد كانت مسرحًا لمذابح كبرى لليهود . (١)

موقف المسيحيين البروتستانت من اليهود

عندما ظهر المذهب البروتستانتي على يد مارتن لوثر في القرن السادس عشر، قلب المسيحية رأساً على عقب، من خلال التغيرات اللاهوتية التي جاء بها والتي روجت لفكرة أن اليهود أمة مُفَضَّلة وأكدت على ضرورة عودتهم إلى أرض فلسطين كمقدمة لعودة المسيح المنتظر وبزوغ فجر العصر الألفي السعيد .

وكان من أهم الأسباب التي أدَّت إلى حدوث هذه التغيرات اللاهوتية، هو ما دعا إليه لوثر من عدم الاعتراف بأن فهم الكتاب المقدس وقفاً على رجال الكنيسة وحدهم. وهذا الوضع أدى إلى فتح الباب على مصراعيه أمام أصحاب البدع والأضاليل، مما أدَّى إلى تعدد الفرق البروتستانتية نفسها حتى وصل عددها الآن إلى أكثر من ٢٠٠ فرقة في مذهب لم يتعد وجوده أكثر من أربعة قرون !

(1) رجاء جارودي " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " الباب الثاني ، الفصل الأول : العهد القديم وميلاد الصهيونية المسيحية .مرجع سابق .

كما أنه في ظل هذا المذهب ازداد الاهتمام بالعهد القديم (التوراة) تحت شعار العودة إلى الكتاب المقدس باعتباره مصدر العقيدة النقيِّة، مع عدم الاعتراف بالإلهامات والتعاليم غير المكتوبة التي يتناقلها الباباوات الواحد عن الآخر والتي تعتبر مصدراً مهماً من مصادر العقيدة المسيحية .

وهكذا أصبح العهد القديم يشكل جزءاً مهماً من مصادر العقيدة البروتستانتية، فأصبح هو المرجع الأعلى للسلوك والاعتقاد ومصدراً للتعاليم الخلقية والمعلومات التاريخية أيضاً واحتلت فكرة عودة المسيح إلى الأرض، مكاناً رئيسياً في الفكر المسيحي البروتستانتي .

وتقوم هذه الفكرة على أساس الاعتقاد بأن السيد المسيح سيعود إلى الأرض ثانية (قبل بداية الألفية الثالثة للميلاد) ليقيم مملكة الله على الأرض والتي ستدوم ألف عام (العصر الألفي السعيد) حيث سيحكم العالم من مقرِّه في مدينة القدس . ويعتقد المسيحيون البروتستانت أنه لابد من حدوث بعض الأمور كمقدمة لهذه العودة، وهى:

١- إقامة دولة إسرائيل بحدودها التوراتية من النيل إلى الفرات وعودة اليهود إليها.

٢- إقامة الهيكل اليهودي .

٣- وقوع معركة فاصلة بين قوى الخير وقوى الشر تسمى(هرمجدون) .

إذن كل من الكاثوليك والبروتستانت يرون أن الكنيسة هي التي ورثت الوعود من اليهود مع فارق رئيسي بينهما ، ففي حين أن الكاثوليك يناصبون اليهود العداء جهارًا، ويرمونهم بالكفر صراحة ، ويتمنون فناءهم يقيناً، نجد أن البروتستانت لا يفعلون ذلك بل يرون أن الخلاص لا يتم إلا بتحقيق عودة اليهود إلى وطنهم وتنصيرهم، أي التخلص منهم عن طريق التهجير والتنصير وهم في ذلك يتفقون مع الصهيونية التي ترى " أن الأسطورة الاسترجاعية هي أسطورة صهيونية ومعادية لليهود في آن واحد. فهي ترى أن الخلاص لا يتم إلا بتحقيق عودة اليهود إلى وطنهم وتنصيرهم، أي التخلص منهم عن طريق التهجير والتنصير .

ومعنى هذا أن البروتستانت - وهي عقيدة معظم الأمريكان والإنجليز - ترى أن المسيح المخلص لن يأتي إلا بعد أن يتمكن اليهود من العودة إلى فلسطين ثم ينزل المسيح بن مريم – وليس ابن داود - لينصِّر اليهود ويحقق للمسيحيين الخلاص و يبيد أعداءهم من غير المسيحيين وهذا ما يحدث في معركة هرمجدون .

أن ممثلي الطوائف البروتستانتية الأمريكية والغربية تطرح نفس المقولات التي يرددها حاخامات اليهود حول القدس، بل إنها تغالي في أصوليتها المتزمتة وعدائها العنصري للعرب والمسلمين .

وهي التي تدفع باتجاه هدم الأقصى والإسراع ببناء ما يسمى الهيكل حتى يأتي المسيح الجديد.

وهذه الطوائف لها الصدارة في الشئون السياسية والإعلامية في الولايات المتحدة وهي تمثل أكثر من مائة مليون بروتستانتي أمريكي من بينهم رؤساء للولايات المتحدة وزعامات الحزبين الجمهوري والديموقراطي." (١)

المذهب البروتستانتي قراءة مغلوطة للإنجيل

كيف يستطِيع مسِيحِي أن يؤيد النظرية " المادية " التي تقرر أن الوعد وعد بأرض لشعب معين، على حين أن الإنجيل ما فتئ يردد أن الوعد قد تم فِي يسوع - المسِيح، ومن أجل الإنسانية كلها .

ومهما يكن أمر الاتصال أو الانفصال بين العهد القديم والجديد، فإن ما يبقى هو أن " الوعد " بالنسبة إلى أي مسيحي يتم في يسوع المسيح، ولا يمكن أن يكون وعدًا بأرض .

ويسوع يُبَشِّر " بمَلكوت الرب "، ولكن هذه البشارة ليست مُقَيَّدَة بالنسبة إليه بمُجَرَّد استردادٍ قومي لأرض .

---

(1) حسن الباش www.qudsway.com .

ويسوع لا يعترف بأي حق إلهي للإمبراطور الروماني ، ولا لهيرودس، وهو يرفض في ثلاثة مواضع من الأناجيل رفضًا قاطعًا أن يربط رسالته بتملُّك أرض أو سلطة، وعندما أراد الشيطان من أعلى جبل أن يُريه ممالك العالم، وأن يُقدمها إليه قال له يسوع : "اذهب يا شيطان". (متى ١٠/٤)

إنه يرفض أن يدعى " المسيح " ؛ لأن التقليد اليهودي يجعل لهذا الاسم مفهومًا سياسيًّا، فهو يضرب ـ إذن ـ صفحًا عن أولئك الذين أعطوه هذا اللقب، يضرب صفحًا ـ مثلاً ـ عن بطرس حين يقول له: أنت المسيح. (مرقص ٣٠/٨) وحين يسأله رئيس الكهنة قيافا: "هل أنت المسيح اِبن الله ؟ "، (متَى ٦٤/٢٦ ، ولُوقا ٦٨/٢٢)

وعندما يسأله بيلاطس: أنت ملك اليهود؟ يتجنب يسوع هذا الشرك، وبدلاً مِن أن يجيب بنعم أو لا ـ يقول: مملكتي ليست من هذا العالم" ـ (يوحنا ٣٣/١٨ـ ٣٦).

إن مسيحيته تمضي على النقيض من مسيحية اليهود التقليدية ، أولئك الذين كانوا ينتظرون مسِيحًا يبعث مملكة داود. (١)

رأي مسيحيي الشرق في المذهب البروتستانتي

إن موقف المسيحيين العرب جد مختلف عن مسيحيي الغرب البروتستانت وذلك يرجع لاختلافات جوهرية بينهما :

١- إن المسيحيين العرب معظمهم أرثوذكس ، وقليل منهم كاثوليك ، وموقف الأرثوذكس والكاثوليك يختلف تمامًا عن موقف البروتستانت (عقيدة غالبية الأمريكان والإنجليز) فيما يتعلق بالوعد الإلهي لبني إسرائيل ، وعقيدة شعب الله المختار، والعودة إلى أرض الميعاد .

فالأرثوذكس والكاثوليك يريان " أن مجيء المسيح قد نقض العهد الإلهي لإسرائيل وأنهاه .

(1) رجاء جارودي " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " الباب الثاني ، الفصل الأول : العهد القديم وميلاد الصهيونية المسيحية . مرجع سابق .

فبعد المسيح لا وعد ولا اختيار إلا لمن آمن بالخلاص وسعى إليه.

وباب الخلاص مفتوح لكل الناس بلا استثناء، وعلى اليهود أن يؤمنوا بالمسيح مثلهم مثل غيرهم إذا أرادوا الخلاص. أما النبوءات الخاصة بعودة اليهود فكانت تُؤوَّل على أنها تحققت حينما أعادهم قورش الفارسي إلى فلسطين .

أما الفقرات الأخرى التي تتنبأ بمستقبل مُشرق لإسرائيل فتقتصر على إسرائيل الجديدة وحسب، أي الكنيسة المسيحية. وبعد ظهور المسيح وإنكار اليهود له أصبح اليهود إسرائيل الجسدية الزائفة والشعب المختار للعنة الإله وأصبحت اليهودية اسما لا ديناً " (١) .

وهذه طائفة من أقوال أبرز الرموز المسيحية العربية التي تؤكد موقفها العقائدي من المسيحية البروتستانتية الأمريكية :

يقول د. ميلاد حنا المفكر المسيحي البارز : " اليهود ركبوا موجة كبيرة جداً في تفسير بعض نصوص دينية في أن يجعل المؤمن المسيحي – البروتستانتي - علشان يبقى مسيحي كويس لازم يؤمن بحق إسرائيل في الوجود وإنها تستنى وإن دا يخلي المسيح ييجيى يقوم دا يحقق القيامة " (٢)

ويضيف الأستاذ جمال أسعد عبد الملاك (المفكر المسيحي المعروف) قائلاً : " الأخطر هو الاختراق الصهيوني للمسيحية من خلال إعمال بعض نصوص العهد القديم اللي هو كتاب اليهود لتبرير صفقات سياسية، يعني هو لما ما يقول حكاية الألفية دي، هو المقصود باختصار شديد، الألفية إنه لابد تنتهي ببناء الهيكل على أنقاض المسجد الأقصى، ومن هنا يبقى تبرير للوجود الإسرائيلي وإنهاء للقضية الفلسطينية من أساسها، وللأسف الشديد أن هناك بعض المسيحيين يغرر بهم باعتبار

(1) د. عبد الوهاب المسيري "اليهود واليهودية والصهيونية " .م٣ ج١ الباب الأول: من التحديث إلى ما بعد الحداثة . مرجع سابق .

(2) د. ميلاد حنا في حوار أجرته معه قناة الجزيرة في برنامج " بلا حدود " ١٢/ ٨ /٢٠٠٢

إن دي تحت مقولات ونصوص دينية، ومن هنا لا.. لا ينظرون إلى مجمل العقيدة وموقف المسيحية بشكل عام من اليهود، ومعروف إن إحنا كنائسنا التقليدية اللي هي الأرثوذكسية والكاثوليكية ضد الحكم الألفي باعتبار إن إحنا الآن يحكمنا المسيح حكما روحياً، ولا وجود لما يسمى بشعب الله المختار، ولا أرض الميعاد، ولا حكم (ألفي) ولا كل الكلام دا كله الهراء الكذب، " (١)

إن المسيحيين العرب قاوموا الحملات التبشيرية البروتستانتية الغربية واعتبروها خارجة على نهج تعاليم المسيحية الصحيحة وحذروا أتباعهم منها .

وإليك هذا الحوار بين أحد القسيسين الأرثوذكس ، وشاب مسيحي من نفس المذهب حول الجمعيات البروتستانتية التبشيرية :

" مارك : شفت يا أبونا الإعلان عن هذه النهضة الروحية .

أبونا : آه ده نهضة في جمعية بروتستانتية – خلوا بالكم .

مارك : إحنا مش ممكن نحضرها، لكن عايزين نسمع رأيك في اللا طائفية المزعومة بهذه الجمعية فهي تدعو الناس للخلاص ، ولا تتعرض إلى أي عقيدة – و ليه بنقول أنها بروتستانتية ؟

أبونا : لأنها جميعه لا تنادى بالتعليم الصحيح وإنما تدعو الناس إلى الخلاص بمفهوم غير أرثوذكسي خالى من الروحانية الأرثوذكسية. " (٢)

وموجز القول أن من المستحيل بالنسبة إلى أي مسيحي أن يقدم مغزًى لاهوتيًّا لدولة إسرائيل، فإن اِحتِرام الإيمان اليهودي لا يستتبع مطلقا الاندماج بين اليهودية والصهيونية، الذِي يؤدي إلى إضفاء صفة القداسة على الأهداف التاريخية لحركة سياسية.

(1) قناة الجزيرة في برنامج " بلا حدود " ١٢/ ٨ /٢٠٠٢

(2) عن موقع مطرانية الأقباط الأرثوذكس بالفيوم .

هذه القراءة الانتقائية والقبلية للكتاب المقدس ليست أكثر قبولاً بالنسبة إلى اليهودي الروحاني منها بالنسبة إلى النصراني الكاثوليكي والأرثوذكسي ؛ لأنها تستتبع بالنسبة إلى اليهود أنفسهم نوعا من الردة : هو أن يستبدلوا " دولة إسرائيل بإله إسرائيل ".

أما بالنسبة لليهودي الصهيوني فإنه يتمسك بأساطير الشعب المختار والأرض الموعودة والخلاص ويكفر بما عداها من روحانيات الدين المُوسوي وفي مقدمتها إله إسرائيل الذي منحهم هذه العهود !! (١)

الصهيونية وأسطورة الخلاص

لقد ظلت عقيدة اليهود والنصارى طوال تاريخهما تؤمنان بانتظار الخلاص ، والفردوس الأرضي على يد الماشيخ جزاءً لليهود على جنسهم السامي ، وعلى يد المسيح المخلص جزاءً للمسيحيين على إيمانهم بأن يسوع ابن الله .

وبعد ظهور الصهيونية عمل كل من اليهود والمسيحيين الصهاينة على تحقيق الخلاص بأنفسهم دون انتظار المُخَلِّص زاعمين أن ما يقومون به من إعادة اليهود إلى فلسطين (أرض الميعاد) يمهد لظهور المُخَلِّص .

لذا عقد زعماء اليهود ثلاثة وعشرين مؤتمرًا منذ سنة ١٨٩٧ حتى سنة ١٩٥١ وكان آخرها هو المؤتمر الذي انعقد في القدس لأول مرة في ١٤ أغسطس من هذه السنة ليبحث في الظاهر مسألة الهجرة إلى إسرائيل وحدودها ، وكان الغرض من هذه المؤتمرات جميعا دراسة الخطط التي تؤدي إلى تأسيس مملكة صهيون العالمية(٢) دون انتظار لظهور الماشيخ .

ويعتبر المؤرخون اليهود مملكة داوود التحقيق النهائي لعقيدة العهد بين الإله والشعب ، وهو العهد المعطى للآباء الإسرائيليين بالأرض أولا ، ثم بالخلاص ثانيًا .

---

(1) رجاء جارودي " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " الباب الثاني ، الفصل الأول : العهد القديم وميلاد الصهيونية المسيحية . مرجع سابق .

(2) محمد خليفة التونسي " الخطر اليهودي برتوكولات حكماء صهيون " دار التراث ص ٤٥ .

وفي عصر داود يكتمل الوعد بالأرض والخلاص ودولته نموذجا للملكة في التفكير الإسرائيلي فبعد سقوط هذه المملكة أصبحت فكرة دينية غيبية حشرية نظرًا لعدم إمكانية تحقيقها تاريخيًّا ، وارتبطت بهذه المملكة الغيبية – مملكة الله – فكرة المسيح المخلص ، وهي أيضًا عقيدة غيبية حشرية تقوم على أساس أن الخلاص الإسرائيلي سيتم على يد مسيح منتظر من نسل داوود ، وارتباط المسيح المنتظر بشخص داوود معناه تحقيق خلاصهم من العبودية ، وجمع شتاتهم ،وضعهم في مملكة الله وأن هذا المخلص له دور سياسي حيث يقوم بأعباء تحرير اليهود ، وإلى هذا الحد كانت الفكرة دينية بحتة إلى أن استغلها الصهاينة في العصر الحديث ، وحولوها إلى واقع سياسي ، وربطوها أيضا تاريخيا بداود ، ولا عجب إذن أن تكون نجمة داود رمزًا لهذا الارتباط بالتاريخ القديم . (١)

وتعد النبوءة أحد أوراق اللعبة السياسية المهمة والفاصلة في التاريخ الإنساني كله، يوظفها السياسيون لمصلحتهم بل وربما اخترعوها إن لم تكن موجودة، وذلك من أجل تحقيق مصالحَ وأهدافٍ سياسية لما لها من تأثير واسع يماثل العقيدة، خاصة وأنها تستمد قوة إضافية من كونها تلعب على غريزة البحث عن المجهول والولع بمعرفة الغيب لدى النفس الإنسانية .

كما يرتبط ذلك بما يطرحه د. عبد الوهاب المسيري في قراءته المقارنة لمناهج التفسير في الأديان السماوية الثلاثة من أن الخطاب الحتمي للنبوءة إنما يرتبط بالتفسير الحرفي للنص الديني، وأن صعود هذا الخطاب في اليهودية والمسيحية خاصة الإنجيلية منها هو صعود للتفسير الحرفي للنص، وعدم تجاوز الحرفية إلى تفسير يوضع في سياق أكبر وأوسع في إطار مقاصد العقيدة ؛ مما يحول هذه العقيدة من رؤية تسامح وعدل إلى فعل وحركة ظلم وعدوان باسم مساندة تحقق نبوءة ما. (٢)

(١) د. محمد خليفة حسن " دراسات في تاريخ وحضارة الشعوب السامية القديمة " ص ٦٢ ، ٦٣
(٢) حسام تمام " نبوءة نهاية العالم " نقلا عن موقع إسلام أون لاين .

الفرق بين نهاية التاريخ ويوم القيامة

هناك فرق جوهري بين نهاية التاريخ عند أهل الكتاب ، ويوم القيامة عند المسلمين ، فنهاية التاريخ عند أهل الكتاب تتحقَّق داخل الزمان الإنساني وعلى الأرض، حين يؤسِّس الإنسان الفردوس (مملكة صهيون على يد الماشيخ الذي هو من نسل داود بالنسبة لليهود ، ومملكة المسيح على يد المسيح بن مريم بالنسبة للمسيحيين) داخل الزمان، فهو فردوس مادي أرضي. يتم على أرضنا هذه وليس في الدار الآخرة .

يقول علماء اليهود : " لم يرد في التوراة ذكر الآخرة وأن الجنة للمتقين والعذاب للمذنبين . إن الجزاء والعقاب، بحسب المصادر التوراتية مثل سفر (التثنية ١٣) أو المصادر النبوية مثل سفر (إرميا ٣: ١٠) يهتمان فقط في هذا العالم وليس في الآخرة. إذاً، بحسب التوراة ، فإن كل الموتى سواء أكانوا سعداء أم أشقياء يدخلون إلى عالم مظلم موجود في باطن الأرض يقال له شيؤول، الهاوية. حتى أن النبي الكبير والكاهن صموئيل دخل مجال هذه الهاوية (كتاب صموئيل الأول: ٢٨ :٨) وما بعدها.

وكما ذكر أعلاه، فإن التوراة ظلت صامتة تقريبًا حول موضوع الآخرة. لم يكن حكماء التلمود على ذات الرأي فيما يتعلق بمصير الروح بعد الممات. وشعر بعضهم أن الروح تظل واعية تمامًا، ويرى آخرون أنها تكون ساكنة، وهناك عدد من المناقشات حول مواضيع مثل ماذا يعرف الموتى عن العالم الذي خرجوا منه، وهل يستطيع الموتى الاتصال بالأحياء وغير ذلك .وبالرغم من اعتقاد الحاخامات في نوع الحياة الآخرة، إلا أنهم لم يهتموا كثيرًا بتفاصيل ما يمكن توقع حدوثه هناك. لم يروا أي مشكل في اعتبار عدد من التأملات معتمدين في النهاية على ما ورد في المزمور (٦٤: ٣) : لا عين رأت يا رب إلا أنت " [1]

([1]) الحاخام روبن فايرستون و د. ستيفن ستاينلايت و الحاخام جيمز أ. رودين . وآخرون " ذرية إبراهيم " مرجع سابق ص ١٦٠،١٦١

هذا اعتقاد اليهود في الآخرة أما المسيحيون فيعتقدون أن المسيح سيرجع بعد ألف سنة ثم يحكم العالم ألف سنة، وعلى هذه العقيدة اجتمعت آمالهم واتجهت أنظارهم سنة ١٠٠٠ ميلادية ولكن المسيح لم يظهر فهدأت المسألة وتلاشت في الواقع لكنها بقيت في الأحلام ، ولما شارف القرن العشرون على البزوغ أي قرب سنة ١٩٠٠ بدأت الدعوات تظهر من جديد واعتقدوا أن المسيح إن لم يظهر في أول القرن العشرين فسيظهر في آخره أي عام ٢٠٠٠ ولم يظهر المسيح في أوله ولا في آخره إنما الذي ظهر في أوله واستمر إلى آخره هو المسيح الدجال المسمى الصهيونية العالمية .

وهذا خلاف ما يؤمن به المسلمون من أن الدنيا دار ابتلاء وفناء ، والآخرة دار خلود وجزاء فالإيمان باليوم الآخر من القواعد المكينة في الإسلام، وهو حجر الأساس في كل دين نزل من عند رب العالمين ، وشرط أساسي لرضا الله تعالى ودخول الجنة .

{ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ } (البقرة: ٦٢)

فالإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح هذه القاعدة بأركانها الثلاثة هي عماد كل دين. وهذا الدين الذي بُعث به محمد ﷺ يعتبر أن الحياة جسر إلى الآخرة، وأن الإنسان يمر بأطوار ومراحل، فمن رحم الأم إلى هذه الأرض إلى القبر، فالبعث فالحشر فالميزان فالصراط، ثم إلى جحيم أو إلى نعيم مستقر في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

والحق أن الإيمان بالآخرة هو صمام الأمان في هذه الأرض، وهو الضابط الوثيق الذي يحرس الأخلاق، والحارس الأمين الذي يضمن تنفيذ الشريعة في هذه الدنيا، فهو الذي يمنع لحظة العين أن تمتد إلى محرم، ويمنع النفس أن تهجس بهواجس الشر، ويردع الفم أن يهمس ولو بكلمة واحدة لا يرضاها ربه، لأنها كلها مسجلة معروضة محصية عليه أنفاسه وكلماته وحركاته. (1)

(1) د. عبد الله عزام " العقيدة وأثرها في بناء الجيل " ص ٣٠

والآيات القرآنية الدالة على البعث والنشور والحساب كثيرة كثيرة منها قوله تعالى :

{ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ * فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ * هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ } (يونس : ٢٨)

يقول تعالى: { وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ } أي: أهل الأرض كلهم، من إنس وجن وبر وفاجر، كما قال: { وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا } (الكهف : ٤٧) .

والمشركون أنواع وأقسام كثيرون، قد ذكرهم الله في كتابه، وبَيّن أحوالهم وأقوالهم، ورَد عليهم فيما هم فيه أتم رد .

وقوله: { هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ } أي: في موقف الحساب يوم القيامة تختبر كل نفس وتعلم ما أسلفت من عملها من خير وشر، كما قال تعالى: { يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ } (الطارق : ٩)، وقال تعالى: { يُنَبَّأُ الإِنْسَانُ يَوْمَئِذ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ } (القيامة : ١٣)، وقال تعالى: { وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا } (الإسراء : ١٣ ، ١٤) .

وقوله: { وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ } أي: ورجعت الأمور كلها إلى الله الحكم العدل، ففصلها، وأدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار. { وَضَلَّ عَنْهُمْ } أي: ذهب عن المشركين { مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ } أي: ما كانوا يعبدون من دون الله افتراء عليه. (1)

وهناك علامات كبرى تسبق يوم القيامة عند المسلمين نوجزها .

علامات الساعة

مما يجب الإيمان به في عقيدة المسلمين ، أن يؤمن المسلم بأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن موعدها لا يعلمه إلا الله، أخفاه عن الناس كلهم، وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أحاديث كثيرة في بيان علامات الساعة وأشراطها وأماراتها.

(1) تفسير بن كثير ج٤ ص ٢٦٤، ٢٦٥

فقد صح عنه ﷺ أنه ذكر للساعة علامات صغرى معظمها يدور حول فساد الناس، وظهور الفتن بينهم، وانحرافهم عن صراط الله المستقيم .

فمن العلامات الصغرى : ما جاء في حديث جبريل أنه سأل الرسول ﷺ : " قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنْ السَّاعَةِ قَالَ مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنْ السَّائِلِ قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا قَالَ أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ" (رواه مسلم) .

ومن علامات الساعة الصغرى أن رجلا قال لرسول الله ﷺ متى الساعة؟ فقال : " إِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ ، قَالَ : كَيْفَ إِضَاعَتُهَا ؟ قَالَ : إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ عَلَى غَيْرِ أَهْلِهِ ، فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ » (رواه البخاري) .

علامات الساعة الكبرى

وهذه هي التي تدلُ على قرب قيام الساعة ، فإذا ظهرت كانت الساعة على إثرها، وأهل السّنة يؤمنون بها كما جاءت عن النَّبيِّ ﷺ ومنها :

ظهور المهدي ، وخروج المسيح الدجال ، ونزول المسيح عيسى ابن مريم ، وخروج يأجوج ومأجوج ، والخُسوفات الثلاثة : خَسْفٌ بالمشرق ، وخَسْف بالمغرب، وخَسْف بجزيرة العرب ، وخروج الدخان ، وطُلوعُ الشمس من مغربها ، وخروج دابَّة الأرض وتكليمها للناس ، والنار التي تحشر الناس .

والمسلمون يؤمنون بكل ما يكون من أمور الغيب بعد الموت ، مما أخبر به الله ورسوله ﷺ من سكرات الموت ، وحضور ملائكة الموت ، وفرح المؤمن بلقاء رَبِّه ، وحضور الشيطان عند الموت ، وعدم قبول إيمان الكافر عند الموت ، وعالم البَرْزَخ، ونعيم القبر وعذابه وفتنتِه ، وسؤال الملكين وأن الشهداءَ أحياء عند ربهم يُرزقون ، وأنَ أرواح أهل السعادة مُنَعَّمَةٌ ، وأرواح أهل الشقاوة مُعَذبة .

ويؤمنون بيوم القيامة الكبرى الذي يحيي الله فيه الموتى ، ببعث العباد من قبورهم، ثمَ يحاسبهم . ويؤمنون بالنفخ في الصور ، وهي ثلاث نفخات :

الأولى : نفخة الفزع .

الثانية : نفخة الصعق ؛ التي يتغير بها العالم المشاهد ، ويختلف نظامه ، وفيها الفناء والصعق ، وفيها هلاك من قضى الله إهلاكه .

الثالثة : نفخة البعث والنشور والقيام لِرَبِّ العالمين .

ويؤمنون بالبَعْث والنُّشُور ، وأَنَّ الله يَبْعثُ مَن في القبور ؛ فيقوم النـــاس لـــرَبِّ العالمين حفاة عراة غُرْلا ، تدنو منهم الشمس ، ومنهم مَن يلجمه العرق .

وفي ذلك اليوم العظيم يخرج النَاس من الأجداث كأَنَهم جراد نشر ، مسرعين مهطعين إلى الداعي ، وقد خفتت كلُّ حركة ، وخيم الصمت الرهيب ، حيث تنشر صحف الأعمال ؛ فيكشف المخبوء ، ويظهر المستور ، ويفتضح المكنون في الصدور ، ويكلم الله عباده يوم القيامة ليس بينه وبينهم ترجمان ، ويدعى النَّاس بأسمائهم وأسماء آبائهم . ويؤمنون بالميزان الذي له كفتان تُوزن به أعمال العباد .

ويؤمنون بما يكون من نشر الدواوين ، وهي صحائف الأعمال ، فآخذ كتابه بيمينه، وآخذٌ كتابه بشماله ، أو من وراء ظهره .

والصراط منصوب على متن جهنم ، يتجاوزه الأبرار ، ويزل عنه الفجَّار .

والجنة والنار مخلوقتان ، وموجودتان الآن ، لا تَفْنَيان أبدًا ، وقد خلقهما الله تعالى قبل الخلق ، والجنة دار المؤمنين الموحِّدين والمتقين ، والنَّار دار الكافرين ؛ والمشركين ، والمنافقين ، والملحدين ، والوثنيين ؛ ودار المذنبين .(1)

عقائد المسلمين حول الخلاص في آخر الزمان

يعتقد المسلمون أن هناك ثلاثة شخصيات ستظهر آخر الزمان : كافر ، ومؤمنان ، الكافر هو المسيح الدجال ، والمؤمنان هما : المهدي المنتظر ، وعيسى عليه السلام .

وإليك خلاصة ما جاء بشأن : المسيح الدجال ، و المهدي المنتظر ، وعيسى عليه السلام .

(1) عبد الله بن عبد الحميد الأثري " الوجيز في عقيدة السلف الصالح " وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية ص ٧٤-٧٦

المسيح الدجال

هو رجل يهودي أعور فتنته أعظم الفتن منذ خلق الله آدم إلى قيام الساعة .

عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : " مَا بُعِثَ نَبِيٌّ إِلَّا قَدْ أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الدَّجَّالَ الْأَعْوَرَ الْكَذَّابَ أَلَا وَإِنَّهُ أَعْوَرُ وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ وَإِنَّ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مَكْتُوبًا كَافِرٌ " (رواه أبو داود وغيره)

وفتنته أعظم الفتن بسبب ما يخلق الله معه من الخوارق العظيمة التي تبهر العقول، وتحير الألباب. فقد ورد أن معه جنة ونارًا ، وجنته نار ، وناره جنة ، وأن معه أنهار الماء وجبال الخبز ، ويأمر السماء أن تمطر فتمطر ، والأرض أن تنبت فتنبت ، وتتبعه كنوز الأرض ، ويقطع الأرض بسرعة عظيمة ، كسرعة الغيث استدبرته الريح ... إلى غير ذلك من الخوارق .

وهاك بعض الأحاديث الصحيحة التي وردت في ذلك .

" مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ أَمْرٌ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَّالِ " (رواه مسلم وأحمد)

" لَيسَ مِنْ بَلَدٍ إِلاَّ سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ إِلاَّ مَكَّةَ وَالمَدِينَةَ ؛ وَلَيْسَ نَقْبٌ مِنْ أَنْقَابِهِمَا إِلاَّ عَلَيْهِ المَلاَئِكَةُ صَافِّينَ تَحْرُسُهُمَا ، فَيَنْزِلُ بِالسَّبَخَةِ ، فَتَرْجُفُ المَدِينَةُ ثَلاَثَ رَجَفَاتٍ ، يُخْرِجُ اللهُ مِنْهَا كُلَّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ " (رَوَاهُ مسلم)

" أنذركم الدجال أنذركم الدجال فإنه لم يكن نبي إلا وقد أنذره أمته وإنه فيكم أيتها الأمة وإنه جعد ادم ممسوح العين اليسرى وإن معه جنة ونارا فناره جنة وجنته نار وإن معه نهر ماء وجبل خبز وإنه يسلط على نفس فيقتلها ثم يحييها لا يسلط على غيرها وإنه يمطر السماء ولا تنبت الأرض وإنه يلبث في الأرض أربعين صباحا حتى يبلغ منها كل منهل وإنه لا يقرب أربعة مساجد مسجد الحرام ومسجد الرسول ومسجد المقدس والطور وما شبه عليكم من الأشياء فإن الله ليس بأعور مرتين " (حديث صحيح رواه أحمد) .

المهدي المنتظر :

هو محمد بن عبد الله من أهل بيت النبي ﷺ من ولد فاطمة .

" من أهل بيتي يواطئ (يوافق) اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي " . (حديث حسن صحيح رواه أبو داود)

وأنه يملك سبع سنين ، وأنه يملأ الأرض عدلاً بعدما ملئت جورًا .

" المهدي مني أجلى (حَسَن) الجبهة أقنى الأنف يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما يملك سبع سنين "(حديث حسن صحيح رواه أبو داود والحاكم)

وأن عيسى عليه السلام يخرج فيساعده على قتل الدجال ، وأنه يؤم هذه الأمة ، ويصلي عيسى خلفه.

" كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ " (متفق عليه)

يقول ابن حجر في شرح الحديث " تواترت الأخبار بأن المهدي من هذه الأمة وأن عيسى يصلي خلفه " (١)

وتنعم الأمة في عهد المهدي فتخرج الأرض نباتها ، وتمطر السماء قطرها ، ويعطى المال بغير عد ، وتكثر الماشية ، وتعظم الأمة .

" يخرج في آخر أمتي المهدي يسقيه الله الغيث وتخرج الأرض نباتها ويعطي المال صحاحا وتكثر الماشية وتعظم الأمة يعيش سبعا أو ثمانيا . يعني حجة " . (أخرجه الحاكم في المستدرك وقال صحيح ووافقه الذهبي)

ويخوض المهدي معارك آخر الزمان ، ويقاتل اليهود وأميرهم الدجال ويهزمهم .

نزول عيسى عليه السلام

ومسيح المسلمين الذي ينتظرونه هو " عبد الله ورسوله وروحه، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول عيسى ابن مريم، أخو عبد الله ورسوله – في الإسلام والرسالة -

(١) ابن حجر العسقلاني " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ج١٠ ص ٢٥١ .

محمد بن عبد الله، فيظهر دين الله وتوحيده، ويقتل أعداءه عباد الصليب الذين اتخذوه وأمه إلهين من دون الله، وأعداءه اليهود الذين رموه وأمه بالعظائم فهذا هو الذي ينتظره المسلمون، وهو نازل على المنارة الشرقية بدمشق، واضعا يديه على منكبي ملكين، يراه الناس عيانا بأبصارهم نازلا من السماء .فيحكم بكتب الله وسنة رسول الله ﷺ وينفذ ما أضاعه الظلمة والفجرة والخونة من دين رسول الله ﷺ ويحي ما أماتوه ، وتعود الملل كلها في زمانه ملة واحدة وهي ملته وملة أخيه محمد وملة أبيهما إبراهيم وملة سائر الأنبياء، وهي الإسلام الذي من يبتغي غيره دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين "(١)

ومن الأحاديث الصحيحة التي ذكرت نزوله عليه السلام ما يلي :

" لا تقوم الساعة حتى ينزل فيكم ابن مريم حكما، مقسطا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد " (متفق عليه)

ويلتف حول عيسى عليه السلام عباد الله المؤمنون، فيسير بهم قاصدًا المسيح الدجال ، ويكون الدجال عند نزول عيسى متوجهًا إلى بيت المقدس ، فيلحق به عيسى عند باب (لُد) ، فإذا رآه الدجال ذاب كما يذوب الملح ، فيتداركه عيسى فيقتله بحربته .

" فإذا جاءوا الشام خرج. فبينما هم يعدون للقتال، يسوون الصفوف، إذ أقيمت الصلاة. فينزل عيسى ابن مريم ﷺ. فأمهم. فإذا رآه عدو الله، ذاب كما يذوب الملح في الماء. فلو تركه لانذاب حتى يهلك. ولكن يقتله الله بيده. فيريهم دمه في حربته " (رواه مسلم)

وينهزم أتباع الدجال ، فيتبعهم المؤمنون، فيقتلونهم، حتى يقول الشجر والحجر : يا مسلم! يا عبد الله ! هذا يهودي خلفي تعال فاقتله .

" لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود " (رواه مسلم).

(١) ابن القيم " هداية الحيارى " ص ١١٢

الحكمة من نزول عيسى ابن مريم

أولا: الرد على اليهود في زعمهم أنهم قتلوا عيسى ابن مريم ، فيبين الله تعالى كذبهم ، وأن عيسى عليه السلام هو الذي يقتلهم ويقتل زعيمهم الدجال .

ثانيا : أنه ينزل مكذبا للنصارى فيظهر زيفهم في دعواهم الأباطيل ، فإنه يكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ويضع الجزية .

هذه خلاصة ما جاء في المهدي وعيسى عليه السلام من أقوال أهل العلم .

الشيعة والمهدي المنتظر

ويشارك المسلمون الشيعة – الإمامية – أهل الكتاب في الاعتقاد في المُخَلِّص الذي يحقق لهم الفردوس الأرضي بعد قرون طويلة من الاضطهاد والغَبْن .

وكانت الشيعة تؤمن – كأهل الكتاب - بانتظار الإمام الغائب وأن أي عمل سياسي أو ثوري يعطل مجيئه .

فالفكرة الشيعية عن " الإمام الغائب " أو المهدي المنتظر تستدعي في الفقه الشيعي إقامة الحكومة الإسلامية تمهيدا لقدوم الإمام " حيث يعتقد الخميني ، ويعتقد معه علماء الشيعة كافة بحتمية ظهور الحكومة العالمية للإسلام بزعامة إمام الزمان المهدي المنتظر ، وأن هذه الحكومة سوف ترسم مستقبلا مشرقاً لمحرومي العالم ، وأن إقامة إمام الزمان لهذه الحكومة وقيادته لها تأتي تتويجا لكل الجهود الشيعية في إقامة حكومة إسلامية تقوم على تنفيذ الأحكام الإلهية بل إن الخميني يتخذ من رجعة الإمام وتشكيله للحكومة الإسلامية الخاتمة دليلا على ضرورة تشكيل حكومة إسلامية تعمل خلال فترة الغيبة ، وما هذه الحكومة إلا استدراكا لما فات الشيعة من ظاهرة " غياب الأحكام مع الإمام " ، وعليه فإن الخميني يطرح فكرة الحكومة " التمهيدية " من أجل الحكومة " النهائية " .

ومنذ أن بدأ الإمام آية الله الخميني في التحرك الثوري لإسقاط نظام الشاه وهو يصطدم بعدد من المراجع الدينية التقليدية التي كانت ترفض أي عمل سياسي أو

ثوري بحجة أن هذا سيعطل مجيء الإمام الغائب ولكن الخميني لم يركن إلى هؤلاء وبدأ يجمع حوله العلماء الثوريين الذين اقتنعوا بمشروعه الثوري واجتهاداته الفقهية فقاموا بتشكيل ما يسمى جامعة "روحانيت مبارز" أي رابطة علماء الدين المجاهدين واستطاعت هذه الرابطة أن تقود الثورة الإسلامية مع الإمام الخميني وتدشن معه معالم النظام الإسلامي والثوري ثم الانتقال معه من صيغة الدعوة إلى صيغة الثورة ثم الانتقال معه أيضا من صيغة الثورة إلى صيغة الدولة (١)

ونهاية التاريخ الإنساني هذه تسمى في الأدبيات الإسلامية " علامات الساعة الكبرى " أما يوم القيامة نفسه فيبدأ بعد هلاك البشر ، وفناء الكون ، يبدأ بالبعث والنشور والحساب وينتهي بدخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار .

لماذا كثر الكلام عن علامات يوم القيامة في الآونة الأخيرة ؟

لقد كثر الكلام عن علامات يوم القيامة وعن الفتن والملاحم في السنوات الأخيرة لعدة أسباب أهمها :

١- كلام صهاينة الغرب عن أرض الميعاد ، والمسيح المخلص ، وتأليفهم الكتب ، وإلقائهم الخطب في ذلك .

٢- كثرة الحروب والثورات وما ترتب عليها من هيمنة الصليبيين الجدد على المنطقة العربية .

٣- عجز كثير من المسلمين وضعفهم واستسلامهم لمستعمريهم .

٤- تأليف كثير من الكتاب المسلمين كتبًا عن علامات الساعة ومنها ظهور المهدي ، ونزول المسيح ، وتطبيق بعض الكتَّاب علامات يوم القيامة – الصحيح منها والضعيف بل والموضوع أيضًا – على الأحداث الجارية ، والأشخاص المعاصرين ، بل شطح بعضهم فحدد ميعاد ظهور المهدي ، ورتب الحوادث السابقة على يوم القيامة وما إلى ذلك من أمور غيبية لا يعلمها إلا الله ، وإنزالها إلى واقع

(١) أحمد السيوفي " أوراق المحافظين والإصلاحيين " إسلام أون لاين.نت ٦-٣-٢٠٠٤

معين . كل هذا يعد ضربا من ضروب المجازفة غير المحسوبة ، ولقد كذَّب الواقع خطأ الكثير من هذه التنبؤات .

والأدهى والأمر أن بعض كتّـــاب مثل هذه الكتب يدعون الناس لعزلة المجتمع حتى ينجوا من هذه الفتن ، وأحدهم حذر الأمريكيين من البقاء في بلادهم التي سيعمها الخراب ويبدو أن الأمريكان استجابوا لتحذيره فتركوا أمريكا وغزو العراق!!

كل هذه الأسباب أدت على انتشار الحديث عن القيامة وعلاماتها .

والسؤال هنا ماذا فعل المسلمون بعد انتشار الحديث عن المسيح الدجال ، والمهدي المنتظر ، وعيسى عليه السلام ، وفتن وملاحم آخر الزمان ؟

هل خططوا لطرد اليهود من فلسطين كما خطط اليهود للاستيلاء عليه ؟!

هل توحدوا حول عقيدتهم الصحيحة كما توحد اليهود والصهاينة حول عقيدتهم الباطلة ؟!

هل طبقوا تعاليم دينهم الصحيح كما طبق اليهود والصهاينة أساطيرهم المزيفة ؟!

إن المهدي عندما يجيء سيقاتل على سنة رسول الله ، والمسيح عندما ينزل سيطبق شرع الله .

فهل طبقنا شرع الله في أعمالنا حتى نكون من جنوده تعالى ؟

وهل ألزمنا أنفسنا بتطبيق سنة رسول الله حتى نستحق أن نكون من أمته ؟

لقد كان النبي ﷺ قرآنا يمشي على الأرض .

فأين نحن من القرآن الكريم ، ومن سنة النبي ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين ؟!

لقد آمن كثير من المسلمين بعقيدة المهدي والمسيح والملاحم فأين العمل الصالح ؟!

إن القرآن الكريم يقرن الإيمان بالعمل الصالح في أكثر من ستين آية ، فأين العمل الصالح يا أمة الإسلام ؟

بل أين أركان الإسلام ؟

كم من المسلمين يقيم الصلاة ؟!

وكم من المصلين تنهاهم صلاتهم عن الفحشاء والمنكر ؟!

كم من المسلمين لا يؤدي زكاة أمواله ؟!

بل قل كم من المسلمين يؤدي زكاة ماله ؟!

كم من المسلمين يتحرى الصدق في قوله وعمله ؟!

كم من المسلمين يأخذ على يد الظالم ؟!

بل كم من المسلمين من يعين الظالم على ظلمه ؟!

لقد أصبح الكذب والإهمال ، والجهل ، مع الأسف ، من سمات كثير من المسلمين، وقس على هذا في بقية أوامر الدين ونواهيه . (١)

تأمل معي هذه الأحاديث التي يصف النبي ﷺ فيها حالنا ، وما صارت الأمور إليه في زماننا .

" كَيْفَ بِكُمْ وَبِزَمَانٍ أَوْ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ زَمَانٌ يُغَرْبَلُ النَّاسُ فِيهِ غَرْبَلَةً تَبْقَى حُثَالَةٌ مِنْ النَّاسِ قَدْ مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ وَأَمَانَاتُهُمْ وَاخْتَلَفُوا فَكَانُوا هَكَذَا وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ فَقَالُوا وَكَيْفَ بِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ تَأْخُذُونَ مَا تَعْرِفُونَ وَتَذَرُونَ مَا تُنْكِرُونَ وَتُقْبِلُونَ عَلَى أَمْرِ خَاصَّتِكُمْ وَتَذَرُونَ أَمْرَ عَامَّتِكُمْ " (حديث صحيح رواه أبو داود)

" يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا فَقَالَ قَائِلٌ وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ قَالَ بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ الْوَهْنَ فَقَالَ قَائِلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهْنُ قَالَ حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ " (حديث صحيح رواه أبو داود والبيهقي)

" يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية وتضعونها على غير موضعها { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ } قال عن خالد وإنا سمعنا

(١) لمزيد من التفصيل يرجى مراجعة فصل " معاصي القلوب ومعاصي الجوارح " في كتاب " ميزان الحق بين العلمانية اللادينية والسلفية اللا أصولية " للمؤلف مكتبة مدبولى .

النبي ﷺ يقول إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب وقال عمرو عن هشيم وإني سمعت رسول الله ﷺ ما من قوم يُعْمَلُ فيهم بالمعاصي ، ثُمَّ يَقْدِرُونَ على أنْ يُغَيِّرُوا ولا يغيرون ، إلا يوشِكُ أن يَعُمَّهُم الله بعقاب قال أبو داود ورواه كما قال خالد أبو أسامة وجماعة وقال شعبة فيه ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي هم أكثر ممن يعمله " (حديث صحيح رواه أبو داود)

إذن ما نحن فيه من البلاء بسبب معاصينا وآثامنا وضعف إيماننا .

هل هذه دعوة لليأس ؟

على العكس هذه دعوة للعمل الصالح وترك التواكل ، دعوة للجهاد بكل صوره وترك الأنانية وعدم المبالاة ، دعوة للاقتداء بالنبي ﷺ وصحبه الكرام الذين حاربوا شهواتهم فانتصروا على عدوهم ، الذين تمسكوا بدينهم فدانت لهم الدنيا .

نعم هناك كثيرون من المسلمين صالحون لكن غالبية المسلمين غير ذلك – ندعو الله لنا ولهم بالهداية – فلو نصرْنا الله بتطبيق شرعه لنصرَنا على عدوه وعدونا .

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ } (محمد : ٧)

ولو أننا أعددنا ما استطعنا من قوة وجاهدنا أعداءنا لعذبهم الله بأيدنا وأخزاهم ونصرنا .

{ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ * وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللّهُ عَلَى مَن يَشَاء وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ اللّهِ وَلاَ رَسُولِهِ وَلاَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ } (التوبة : ١٤ - ١٦)

وعلى العموم، فإن المهدي سيخرج ، ولكن لا علم لأحد إلا الله بوقت خروجه ، ولا يعلم الغيب أحد إلا الله، ونحن مطلوب منا أن نعمل ونخدم الدين، فإن جاء

المهدي فنحن ، إن شاء الله ، من جنوده ، وإن لم يأت – في زماننا - فإننا ماضون على الطريق ونلفت النظر إلى أن الصحابة نزل عليهم قوله تعالى :

{ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُر } (القمر:٤٥)

وهم في مكة، ولكن ذلك لم يكن مدعاة لهم للقعود عن العمل ولا السؤال عن زمن ذلك ، حتى تحقق ذلك في السنة الثانية من الهجرة في غزوة بدر . "(١)

***

(١) انظر " اليهود والصليبيون الجدد " للمؤلف الفصل الثامن مرجع سابق .

كتب للمؤلف

كتب دينية

١- ميزان الحق بين العلمانية اللا دينية والسلفية اللا أصولية . مكتبة مدبولي

٢- ميزان الحق (الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة) دار زهور المعرفة والبركة

٣- الدين والسياسة والنبوءة . دار الكتاب العربي

٤- المدارس السلفية ، جدليَّة النقل والعقل والمصلحة . دار زهور المعرفة والبركة

سلسلة كتب دروس سياسية من التجربة الناصرية

١- آخر أيام فاروق وأول أيام الثورة . دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع

٢- العامان المجهولان في تاريخ ثورة يوليو "" "" "" "" ""

٣- إنجازات عبد الناصر الكبرى من منظور سياسي "" "" "" "" ""

٤- نظام عبد الناصر السياسي والاقتصادي والاجتماعي "" "" "" "" ""

٥- أمريكا وعبد الناصر من التحالف إلى العداء "" "" "" "" ""

٦- هزيمة يونيو ٦٧ وتحديد المسئولية "" "" "" "" ""

سلسلة كتب نحو فهم صحيح للصراع العربي الإسرائيلي

١- الاستراتيجية الصهيونية تجاه العرب ، والمنهج الإلهي لميراث الأرض .

دار هبة النيل العربية

٢- اليهود والصليبيون الجدد ، الدجل الديني والسياسي دار الإبداع للصحافة والنشر

٣- اليهود والصليبيون الجدد (الطبعة الثانية مزيدة ومنقحـــة) "" "" "" ""

٤- إسرائيل وحزب الله ولبنان ، الفائز والخاسر ومن دفع الثمن "" "" "" ""

٥- فتح وحماس ، من مقاومة الاحتلال إلى الصراع على السلطة "" "" "" ""

٦-اليهود والصهيونية وأوهام الأمة العربية "" "" "" ""

٧- أساطير الصهيونية الدينية ، والديانات السماوية . دار زهور المعرفة والبركة

٨- أساطير الصهيونية السياسية ، والمواثيق الدولية . دار زهور المعرفة والبركة

كتب عن الثورة

١- متى يثور المصريون ، دراسة في الشخصية المصرية والثورة عبر التاريخ زهور المعرفة والبركة

٢- دروس من ثورة يوليو لثورة يناير . "" "" "" ""

كتب عن الحضارة المصريّة

١- حضارات مصر ونهضاتها . زهور المعرفة والبركة

٢- لسنا فراعنة ولا عرباً ولا أورمتوسطين ، فمن نكون ؟ زهور المعرفة والبركة

المؤلفات الأدبية

١- مهاجرون (قصص قصيرة) زهور المعرفة والبركة

٢- الحرف التاسع والعشرون (قصص قصيرة) " "" "" ""

٣- ليت قومي يعلمون . (قصص قصيرة) "" "" "" ""

٤- القاهرة ، يناير ٢٠١١ (رواية) "" "" "" ""

كتب أطفال

* سلسلة أصدقاء البيئة (٨ قصص) دار زهور المعرفة والبركة

* السلسلة النفيسة في ثورات مصر الحديثة (٥ قصص) " " " " " " " "

كتب المؤلف في مكتبات أفضل ٤٠ جامعة في العالم

(١٦) كتاباً جامعة هارفارد رقم ١ في الترتيب العالمي للجامعات.

(١١) كتاباً جامعة استنافورد رقم ٣ في الترتيب العالمي للجامعات .

(٥) كتب جامعة كاليفورنيا رقم ٤ في الترتيب العالمي للجامعات.

(١٠) كتب جامعة كولومبيا رقم ٧ في الترتيب العالمي للجامعات.

(١٠) كتب جامعة برينستون رقم ٨ في الترتيب العالمي للجامعات.

(١) كتاب جامعة أكسفورد رقم ١٠ في الترتيب العالمي للجامعات.

(١١) كتب جامعة ييل رقم ١١ في الترتيب العالمي للجامعات.

(٤) كتب جامعة بنسلفانيا رقم ١٥ في الترتيب العالمي للجامعات.

(٩) كتب جامعة واشنطن رقم ١٧ في الترتيب العالمي للجامعات.

(٤) كتب جامعة ميشيجان رقم ٢١ في الترتيب العالمي للجامعات.

(١) كتاب جامعة كيوتو رقم ٢٢ في الترتيب العالمي للجامعات.

(٤) كتب جامعة تورنتو رقم ٢٤ في الترتيب العالمي للجامعات.

(٢) كتابان جامعة إلينوي رقم ٢٥ في الترتيب العالمي للجامعات.

(١٩) كتاباً جامعة كورنيل رقم ٢٩ في الترتيب العالمي للجامعات.

(١١) كتباً جامعة دوكي رقم ٣٢ في الترتيب العالمي للجامعات.

(٤) كتب جامعة تكساس رقم ٣٦ في الترتيب العالمي للجامعات.

هذا بخلاف كتب المؤلف العديدة الموجودة في مكتبات الجامعات الأجنبية الأخرى غير هذه الجامعات .

كتب للمؤلف في مكتبات الجامعات العربية

(١) كتاب المكتبة المركزية جامعة القاهرة . مصر

(٢) كتابان جامعة الملك فيصل – المملكة العربية السعودية.

(١) كتاب جامعة الملك فهد – المملكة العربية السعودية.

(١) كتاب جامعة الإمام محمد بن سعود – المملكة العربية السعودية

(١) كتاب جامعة الحسين بن طلال- الأردن.

(١) كتاب جامعة اليرموك - الأردن .

(١) كتاب جامعة مؤتة - الأردن.

(١) كتاب الجامعة الأردنية للعلوم والتكنولوجيا.

(١) كتاب جامعة تكريت – العراق .

(١) كتاب جامعة السلطان قابوس – سلطنة عمان.

(١) كتاب جامعة الإمارات – الإمارات العربية المتحدة.

(٢) كتابان جامعة النجاح – فلسطين.

(١) كتاب جامعة الأزهر الشريف – جمهورية مصر العربية.

(١) كتاب كلية دار العلوم – جمهورية مصر العربية .

(٢) كتابان كلية التربية – جامعة المنصورة – جمهورية مصر العربية

(١) كتاب كلية الآداب – جامعة بني سويف – جمهورية مصر العربية

(١) كتاب كلية الزراعة – جامعة الإسكندرية - جمهورية مصر العربية

(١) كتاب المكتبة المركزية - جامعة بنها - جمهورية مصر العربية

كتب للمؤلف في المكتبات العالمية والعربية

(١٢) كتاباً في مكتبة الكونجرس الأمريكية.

(٣) كتاب في مكتبة الإسكندرية.

(٣) كتب في مكتبات مبارك العامة.

(١) كتاب في مكتبة وزارة الشباب الإماراتية.

(١) كتاب في مكتبة المجلس الوطني اليمني.

(١) كتاب في مكتبة وزارة الخارجية أبو ظبي.

(٢) كتاب في مكتبة مسجد البيرة الفلسطيني.

-كتبت عن مؤلفاته عديد من الصحف العربية ، والأجنبية والمواقع الالكترونية.

استضافته قناة النيل الثقافية في برنامج " الرفيق " لعرض كتابه " متى يثور لمصريون"

التليفون المحمول 01226406489 :

البريد الالكتروني : yuness112@hotmail.com

موقع المؤلف على الإنترنت www.albab.hooxs.com

***